

أحمد بن حمّاد ابن حمّاد

شفاء السائل لتهذيب المسائل

تحقيق
كارولين بو



شفاء السائل لتهذيب المسائل

ابن خلدون



تحقيق

كارولين بو

تُطلب النسخة الكاملة للشراء –

بنص الكتاب المحقق مع الترجمة الإنجليزية والمقدمة وكلمة
عن المخطوطات المستعملة والمواثي والمصادر –

من المكتبة العربية

(www.libraryofarabicliterature.org)

المكتبة العربية

تهدف المكتبة العربية التي أُنشئت بموجب منحة مقدمة من معهد جامعة نيويورك أبوظبي، وبالتعاون مع دار النشر التابعة لجامعة نيويورك، إلى نشر أبرز آثار التراث العربي باللغتين العربية والإنجليزية. إذ تُعد مجموعة من الباحثين الموقين في مجال الدراسات العربية والإسلامية النصوص بحيث يُعرض المتن العربي الحق وترجمته الإنجليزية في صفحات متقابلة من الجلد الواحد. وتعود أقدم النصوص التي تصدرها المكتبة العربية إلى حقبة ما قبل الإسلام في حين تعود أحدها إلى مستهل العصر الحديث. وتضم المكتبة نماذج من مختلف مجالات العلوم والفنون بينها كتب الدين وعلومه وأصوله والفلسفة والعلوم الطبيعية وكتب الأخبار والتاريخ والشعر ونقده وأدب القصة والحكاية.

تدبر المكتبة العربية مجموعةً من الباحثين العاملين في مختلف أنحاء العالم، منهم أعضاء لجنة التحرير، وهم فيليب كينيدي من جامعة نيويورك الذي يعمل محترفاً عاماً، وجيمس مونتموري، أستاذ اللغة العربية في جامعة كامبريدج، وشوك محمود تراوا، أستاذ اللغة العربية في جامعة ييل، اللذان يعملان محرين تفديزيين، وتضم لجنة التحرير: شون أنثوني (جامعة ولاية أوهايو)، وهدى فرج الدين (جامعة بنسلفانيا)، ولارا حرب (جامعة برمنغهام)، ومايا كسروانى (جامعة نيويورك أبوظبي)، وإياناس خنسه (الجامعة الأمريكية في بيروت)، وبلال الأرفه لي (الجامعة الأمريكية في بيروت)، وموريس بوميرانتز (جامعة نيويورك أبوظبي)، ومحمد رستم (جامعة كارلتون). ويشار إلى المحترفين في اختيار النصوص وتفويض المתרגمين ومراجعة المخطوطات والتدقيق النهائي للنصوص المترجمة. بالإضافة إلى ذلك، يعمل الأعضاء المؤسسين للجنة التحرير - جوليا براي (جامعة أكسفورد) ومايكل كوبرسون (جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس) وجوزيف لوري (جامعة بنسلفانيا) وطاهرة قطب الدين (جامعة شيكاغو) وديفين ستيوار特

(جامعة إيموري) - محرين استشاريين، وذلك من خلال تقديم النصائح والإرشاد للسلسلة بشكل عام.

تُعد المكتبة العربية الأسبق في نوعها، حيث تهدف إلى إنشاء مكتبة كبيرة تضم نصوصاً عربية ذات قيمة مرجعية تصاحبها ترجمات إنجليزية تتصف بحداثة الصياغة وسلامة الأسلوب، سعياً بذلك إلى تعريف الباحثين والطلاب وجمهور القراء غير التخصصيين بموروث الأدب العربي.

كلمة عن إثبات النص العربي

خلال اعدادي واباتي لهذا النص اعتمدت على طبعة الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي بالإضافة إلى طبعة الأستاذ محمد مطعيم الحافظ وأرجو أن ينظر القارئ إلى مقدمة الترجمة ليجد المزيد من التفاصيل.

المحتويات

الكلام في تحقيق طريق الصوفية وتميزه على الجملة من بين طرق الشريعة ومدلول هذا
اللفظ عند من سلف منهم في الأمة

١٠ القول فيما سمت إليه هم القوم من المجاهدة وما حملهم عليها من البواعث وكيف
غلب اسم التصوف في مجاهداتهم الأخرى واحتضن بها عند الكافة وانتقل إليها
عن هذه المجاهدة الأولى وتحقيق هذه الطريقة

٢٠ الكلام في المجاهدات وأقسامها وشروطها وخلاصة القول في ذلك على ما تأدى إلينا
من تصفح مذاهبهم وتتبع أقوالهم أن المجاهدة على ثلاثة أنواع متفاوتة بعضها
متقدم على بعض

٣٤ الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوف إليه والرد عليهم في ذلك
٤٩ الكلام في اشتراط الشيخ العلم في المجاهدة وفي أي المجاهدات يجب وفي أيها يتأكد
٦٣ وفي أيها لا يجب ووجه ذلك

٧٠ الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما والصحيح من أدلةهما

شفاء السائل لتهذيب المسائل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدِ رَأْلَهُ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

- قالـ الشیخ الفقیہ الرئیس الـاوحد نسیع وحدہ و فرید فضلہ وجہہ أبو زید عبد الرحمن ابن محمد بن خلدون نفعہ الله و نقع بـ
- ١٠٠ الحمد لله الذي جعل الإلهام لمده نعمة من عنده والصلوة التامة^١ على سیدنا ومولانا محمد رسوله الکرم وعبدہ والرضا عن آله وصحبہ من بعده.
- ٢٠٠ أما بعد فقد وقفت بعض الإخوان أباقاهم الله على تقید وصل من عدوة الأندلس وطن الرباط والجهاد وموایي الصالحين والزناد والفقهاء والعباد يخاطب بعض الأعلام من أهل مدينة فاس حيث الملك يزار وبحار العلم والمليين تزخر وثواب الله يعد لأنصار دینه وخلافته ويدخر طالباً كشف الغطاء في طريق الصوفية أهل التحقیق في التوحید الذوقی والمعرفة الوجدانیة هل يصح سلوكه والوصول به إلى المعرفة الذوقیة ورفع الحجاب عن العالم الروحاني تعالماً من الكتب الموضوعة لأهله واقتداء بأقوالهم الشارحة لکیفیتہ فیکی فی ذلك مشافهة الرسوم ومطالعة العلوم والاعتماد على کتب الہدایۃ الوافیۃ بشروط النہایۃ والبدایۃ کا لایحیاء والرعایۃ ام لا بد من شیخ بیین دلائله ویحذر غواٹله ویمیز للمرید عند اشتباه الواردات والاحوال مسائلہ فیتنزل منزلة الطیب للمرضی والامام العدل للأمة الفوضی.
- ٤٠٠ ونقل مناظرة مریدین جرت في ذلك ردًا وقولًا وحضرت معقولًا ومنقولًا ما بين مسوغ لهذا السلوك من غير شیخ یقتدى المرید به ولا إمام یأتم بأدبه وبين مشرط شیخاً یروض السالک ویحذره ما شاهد في طریقه إلى الله من المھالک ویؤید قواه

١ ط: والسلام.

على احتمال المطلع وتميز السنن في الأحوال الواردة من البدع حتى يتحقق إلهاً محبور الوقت محفوظاً من المزلات التي تؤدي إلى البعد من الله والمقت فطال في تلك المناظرة المجال وجلب للاحتجاج العلماء والأبدال وذهبت النصفة بينهما والاعتدال والحق وإن فقدوه فقرب مما اعتقدوه.

- ٥٠٠ فذهبت إلى كشف القناع عن محل النزاع وايصال الحق في الوصول بهذا الطريق أو الانقطاع وهل يستغني المريد فيها بالكتب والأوضاع أو لا بد من الإمام المتبوع والشيخ المطاع المعين له على المريد حسن الاقتداء والاتباع والعمل والاستماع واعتمدت على الله ولي العون والحفظ والصون وهو حسيبي ونعم الوكيل.
- ٦٠٠ والكلام في هذه المسألة يستدعي تحقيق طريق الصوفية وتميزها من بين سائر الطرق وكيف استقرت عند الصدر الأول منهم في نوع من العبادة والمجاهدة واختصت بهذا الاسم ثم صاروا إلى مجاهدات أخرى وغلب اسم التصوف عليها وهو الشهر عند الكافة وكيف استعمله بعض المتأخرین في نتائج المجاهدات فقط والرذ عليهم في ذلك في بيان هذه الاصطلاحات يتضمن الكثير من هذا الغرض والله الهادي إلى الصواب.

الكلام في تحقيق طريق الصوفية^١ وتميزه على
الجملة من بين طرق الشريعة ومدلول هذا
اللفظ عند من سلف منهم في الأمة

- ١٠١ أعلم نور الله قلوبنا بالهدایة أنَّ اللَّهُ سجَّانُه فرض على القلب عملاً من الاعتقادات وعلى الموارح الظاهرة عملاً من الطاعات بجميل التكاليف الشرعية التي تعبد بها الإنسان في خاصة نفسه ترجع إلى نوعين أحکام تعلق بالأعمال الظاهرة وهي أحکام العبادات والعادات والمتزاولات وأحكام تعلق بالأعمال الباطنة وهي الإيمان وما يتصرف في القلب ويتوانون به من الصفات إما المحمودة كالعفة والعدل والشجاعة والكرم والحياء والصبر وإما المذمومة كالعجب والكبر والرياء والحسد والحدق.
- ٢٠١ وهذا النوع أهم من الأول عند الشارع وإن كان الكل مهمماً لأنَّ الباطن سلطان الظاهر المستولي عليه وأعمال الباطن مبدأ الأعمال الظاهرة وأعمال الظاهر آثار عنها فإنَّ كان الأصل صالحاً كانت الآثار صالحة وإنْ كان فاسداً كانت فاسدة. قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ فِي الْجَسْدِ بَضْعَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسْدُ وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَ الْجَسْدُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ.
- ٣٠١ ويبيان ذلك أنَّ اللَّهُ سجَّانُه خلق في القلب غرائز وقوى وكل واحد منها يطلب مقتضى طبعه الذي خلق له وجعل كماله وغايته في تحصيله غريزة الغضب تطلب التشوي والانتقام وفيه كمالها ولذتها وغريزة الشهوة تطلب اللذة بمالكول والمنكوح وبالملة تحصيل الملام وكذلك غريزة العقل الذي فيه يُطلب تحصيل العلم والمعرفة.
- ٤٠١ ولما رَبَّ اللَّهُ فيه من محبة الكمال لا يزال يحرك بكل متحرك فيه إلى تحصيل كماله والفك خادمه في جميع ذلك يركب ويحملل ويجمع ويفصل فيتصور عداوة شخص ما

١: المتصوفة.

ويحرك الجوارح للانتقام منه ويتصور جمال شخص وكمال صورته فيحرك الجوارح للالتذاذ به ويتصور غذاء ملائماً وقد وجد الجموع فيحرك الجوارح لتحصيل ذلك الغذاء ويتصور كمالاً في شخص فيود انتزاعه وانفراده به ويقتم لذلك ويؤسفه آخر فيتصور الانتقام منه ويتوهم الكمال في نفسه فيعجب بذاته ويردري غيره لتوهم قصوره بالنسبة إليه .

٥١ وتحتاج غريرة العقل أيضاً مقتضى طبعها وهو المعرفة والعلم فتحرك الفكر إلى تحصيله وتشتاق إلى الكمال الأعلى بمعرفة خلقها فإذا ترى موجوداً كمال منه فلا تزال تطلع إلى جانبه بتصورات وأفكار تعاقب عليها تلم في ذلك وتستدي وتعيد وتبدى وحركاتها في جميع هذه الأمور متواترة متراوحة لا تفترطه عين ولا يليقها من الكسل والملل ما يليق الجوارح والأعضاء وهي منتقلة دائماً أسرع من إيماض البرق وحركة الذباب بالريح ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر في دعائه يا مقلب القلوب ويقسم به أكثر أمره بقوله لا ومقلب القلوب وقال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن .

٦١ ثم ليس كل ما يظن القلب من هذه الغرائز أنة كمال له ولذلة فهو كمال له ولذلة باعتبار الآجل وحياته الدائمة التي أخبر الشارع بحال سعادته فيها وشقاقه فإنه إنما أراد اللذة في هذه الغرائز باعتبار عاجله وحاضره وبقى ما يحصل في القلب من آثار هذه الأفعال وما يتلون به من الهيئات التي تكون له في الآجل خيراً ونعيماً أو شرّاً وعذاباً حتى في غريرة العقل بما يحصل فيها من العقائد والتصورات في جانب خلقها فنها ما هو مفض إلى السعادة ومنها ما يفضي إلى الشقاء ولا طريق إلى معرفة ما فيه السعادة باعتبار الآجل من الأعمال الباطنة كلها بل والظاهرة إلا الشrey .

٧١ فين صلوات الله عليه وسلم المحمود من المذموم ومميز الخبيث من الصيّب ونبه على أن شأن الأعمال الباطنة أهم لأن الباطن أصل الاستقامة ومنبع الصلاح والفساد لجميع الأعمال كما مر في الحديث قبل وسراً أن المطلوب من استقامة الجوارح إنما هو حصول آثار الاستقامة في النفس عوداً بعد بدء ثم يتضاعف في التكرار حتى تتمكن منها الهدایة وتصدر عنها الاستقامة في جميع أعمالها من غير تكلف قال

صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم.
ومن هنا كان الإيمان رأس الأعمال وأرفع مراتب السعادة لأنه أرفع الأعمال الباطنة
كما في كلام الظاهر.

٨١ ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم لما شرح الله صدورهم للإسلام وقبلوا من
الهدى ما كانوا فيه على بيته من ربهم صرفا الاهتمام إلى أعمال الباطن أكثر
من أعمال الظاهر فكانوا يراعون أنفاسهم ويراقبون خطواتهم ويجدرون غوايل
قلوبهم وفي هذا كانت أكثر مفاوضتهم وفع بعضهم إلى بعض ومن فلتاتها
معظم تحرزهم.

٩٠١ واعتبر ذلك في مثل سؤال عمر بن الخطاب حذيفة رضي الله عنهما وقد ذكر
حذيفة المناقين وأشار إلى ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم
فقال عمر نشتك الله الذي ياذنه تقوم السماء والأرض هل علم أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم سئاني فيهم. قال لا ولست أبترئ بعده أحداً.

فانظر إلى حذر عمر رضي الله عنه من هذا النفاق وتأمل ما هو كيف تجده ما
يحذر من خفيات الأعمال الباطنة المذمومة المحبطة ويعرفك ذلك أن شأنها مهم
وخطرها في الدين عظيم إذ لو كان مراد عمر وحذيفة بهذا النفاق مدلوله المشهور
وهو إظهار الإسلام وإضمار الكفر كما كان في منافي المدينة وغيرهم لما حذر عمر من
ذلك وفع فيه إلى علم حذيفة إذ هو يعلم من نفسه أنه مبرأ منه وكيف يتحقق هذا على
عمر وكل أحد يعلم من نفسه ما أكثـر وما أبدى فالذي حذر عمر صنف آخر من النفاق
وهو ما يكون من أعمال الباطن من خفايا المهلـكات تقع فلتة ولا يعلمهـ الإنسان من
نفسه ويعلمها النبي باطلـاعه على القلوب ومعاينـته لأعمالـها وأسرارـها بما خصـهم الله
به من ذلك.

١٠٠١ وساغ إطلاق اسم النفاق على هذا الصنف من الأعمال لما فيه من خالفة مضمر
الباطن لظاهر الدعوى لأن دعوى المؤمن الاستقامة وهو ظاهر حاله وما يقع من
خفيات الفلتات الباطنة القادحة في الاستقامة وإن لم تقع باختياره فهي مضمرة في

القلب فأشبه الفاق من وجه مخالفة باطن لظاهره فتجوز باسمه إليه وإن كان يفارق الفاق المشهور بأنّ هذا الذي من العمل المذموم لم يتقطن له المكف. إلا أنه مأمور بذلك الجهد في مراعاة أحوال الباطن وحمله على الاستقامة ليستقيم به الظاهر ويجدب بالكلية إلى الهدایة والسعادة فإن مسنته غفلة أو ترخ في هذا الواجب المتعين كان منافقاً.

وهذا كما أطلق اسم الشرك على الرياء لما فيه من التشريك في الوجهة بالعبادة فإنَّ المرأى بعبادته لم تخلص إلى الله وجهته بل هو متوجه مع ذلك إلى المرئي له فصار كالمشرك العابد اثنين فساغ إطلاق اسم الشرك عليه كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم الرياء الشرك الأصغر.

وهذه كلها أدلة واضحة على أن شأن الباطن أعظم وعلاجه أهم. ولنأت في ذلك بمزيد بيان وذلك أنَّ الأعمال الظاهرة كلها في زمام الاختيار وتحت طوع القدرة البشرية وأعمال الباطن في الأكثر خارجة عن الاختيار متعاصية على الحكم البشري فإذا سلطان له على الباطن بل وترجع الأعمال الظاهرة إليه لأنها تحت سلطانه وتحت إشارته وفي زمام اختياره وبهذا كانت النية التي هي مبدأ الأعمال أصلاً في العبادات عند الشرع وروحًا لها حتى أن العمل إذا خلا عنها بطل ولا يعتد به المكف في الامتثال قال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله رسوله فهجرته إلى الله رسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

ثم لما درج الصحابة رضوان الله عليهم وجاء العصر التالي لعصرهم تلقى أهلهم هدى الصحابة مباشرة وتلقيناً وتعليناً وقيل لهم التابعون ثم قيل لأهل العصر الذين بعدهم أتباع التابعين.

ثم اختلف الناس وتباينت المراتب وفتا الميل عن الحادة والخروج عن الاستقامة ونبي الناس أعمال القلوب وأغفلوها وأقبل الجم الغفير على صلاح الأعمال البدنية والعناية بالمراسم الدينية من غير التفات إلى الباطن ولا اهتمام بصلاحه.

وشنغل الفقهاء بما تعم به البلوى من أحكام المعاملات والعبادات الظاهرة حسبما طالبهم بذلك منصب الفتيا وهداية الجمهور فاختص أرباب القلوب باسم الزهاد والعباد وطلاب الآخرة منقطعين إلى الله قابضين على أدیانهم كالقابض على الجمر حسبما ورد.

١٤١ ثم طرق آفة البدع في العتقدات وتداعى العبادة والزهد معترضي ورافضي^١ وخارجي لا ينفعه إصلاح أعماله الظاهرة ولا الباطنة مع فساد المعتقد الذي هو رأس الأمر فانفرد خواص السنة المحافظون على أعمال القلوب المقتندون بالسلف الصالح في أعمالهم الباطنة والظاهرة وسموا بالمتصوفة.

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: أشتهر هذا الاسم قبـ المئتين من الهجرة. ثم تابعوا جيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة يهتدي الخلف منهم بالسلف ويؤدي ما لُقـ عن شيوخه لمن وفقه الله من أتباعه.

١٥١ وصار فقه الشريعة على نوعين الأول فقه الظاهر وهو معرفة الأحكام المتعلقة بأفعال الجوارح فيما يخص المكلفين في أنفسهم أو يعتمر من عبادات وعادات وغيرها من الأفعال الظاهرة وهذا هو المسمى بالفقه في المشهور وحامله الفقيه وهم أهل الفتيا وحرسـ الدين. والنوع الثاني فقه الباطن وهو معرفة الأحكام المتعلقة بأفعال القلوب وما يخص المكلف في نفسه من أفعال الجوارح في عبادته وتناوله لضرورياته ويسـيـ هذا فقه القلوب وفقـ الباطن وفقـ الورع وعلمـ الآخرة والتصوف.

وكثـت العناية بال النوع الأول الذي هو الفقه لـمـومـ البلـوىـ واحتـاجـ السـلطـانـ والـكـافـةـ لـمنـصـبـ الفتـياـ فـكـثـرـ نـاقـلوـهـ فـيـ كـلـ عـصـرـ وـتـعـدـتـ فـيـ الـمـوـضـوـعـاتـ.

١٦٠١ وبـقـيـ النـوعـ الآـخـرـ الـذـيـ هـوـ الـأـمـ علىـ كـلـ أـحـدـ فـيـ نـفـسـهـ قـلـيـلاـ أوـ مـجـوـراـ وـرـبـماـ خـشـيـ بعضـ عـلـمـائـهـ لـأـجـلـ ذـلـكـ درـوـسـهـ وـذـهـابـ أـهـلـهـ فـيـ جـهـلـ حـكـمـ اللهـ فـيـ أـفـعـالـ القـلـوبـ وـحـرـكـاتـ الـبـاطـنـ الـتـيـ أـهـمـ عـلـىـ الـمـكـلـفـ وـأـقـبـ بـهـ إـلـىـ النـجـاحـ فـكـبـتوـ فـيـ ذـلـكـ مـصـنـفـاتـ

^١ عـيـ: رـفـضـيـ.

هي أممـات الإفادة وإنـ كانت لا تـعدد كـ فعلـه ابن عـطـاء والـحـاسـيـ فيـ كتاب الرـاعـيـةـ وـتـابـعـهـماـ الغـرـاليـ فيـ كتابـ الإـحـيـاءـ.

١٨٠١ ثم إنـ نـظرـ الفـقيـهـ وـنـظرـ المـتصـوـفـ عـلـىـ التـقـسـيرـيـنـ المـذـكـورـيـنـ يـجـمـعـانـ فـيمـاـ يـخـصـ المـكـفـفـ فـيـ نـفـسـهـ مـنـ أـفـعـالـ الـجـواـحـ فـيـ عـبـادـتـهـ وـتـنـاوـلـهـ لـضـرـورـيـاتـهـ وـيـمـتـازـ المـتصـوـفـ وـمـلـتوـرـعـ بـالـظـرـ إـلـىـ أـفـعـالـ الـقـلـوبـ وـاعـقـادـهـاـ وـتـلـوـنـاتـهاـ يـمـيـزـ الـمـحـمـودـ مـنـ الـمـذـمـومـ وـالـمـنـجـيـ مـنـ الـمـهـلـكـ وـالـدـاءـ مـنـ الدـوـاءـ وـيـمـتـازـ الفـقيـهـ بـالـظـرـ فـيـمـاـ يـعـمـ الـمـكـفـينـ مـنـ الـعـامـلـاتـ وـالـأـنـجـةـ وـالـبـيـوـعـ وـالـمـحـدـودـ وـغـيرـ ذـلـكـ مـنـ أـبـوـابـ الـفـقـهـ.

١٩٠١ وـفـقـ الغـرـاليـ بـيـنـ نـظـرـ الفـقيـهـ وـنـظرـ المـتصـوـفـ فـيمـاـ يـنـظـرـانـ فـيـهـ مـنـ الـعـابـادـاتـ وـالـمـتـنـاوـلـاتـ بـأـنـ نـظرـ الفـقيـهـ مـنـ حـيـثـ يـتـعـلـقـ بـمـصـالـحـ الـدـيـنـيـ وـنـظرـ المـتصـوـفـ مـنـ حـيـثـ يـتـعـلـقـ بـمـصـالـحـ الـآـخـرـةـ.

قال: لأنـ نـظرـ الفـقيـهـ فـيـ الـعـابـادـاتـ الـيـ رـأـسـهـ الـإـسـلـامـ إـنـمـاـ هـوـ مـنـ حـيـثـ إـنـهـ هـلـ تـصـحـ فـتـكـونـ مـجـرـةـ وـيـقـعـ بـهـ الـامـتـشـالـ وـيـسـقـطـ الـقـضـاءـ أـوـ قـفـسـدـ فـلـاـ تـكـونـ مـجـرـةـ وـلـاـ يـقـعـ بـهـ الـامـتـشـالـ فـلـاـ يـسـقـطـ الـقـضـاءـ أـوـ مـنـ حـيـثـ يـمـيـشـ مـنـ الـأـدـاءـ فـيـاحـ دـمـهـ أـوـ يـؤـدـيـ فـيـعـصـمـ دـمـهـ وـكـذـاـ نـظـرـهـ فـيـ الـحـلـالـ وـالـحـرـامـ إـنـمـاـ هـوـ مـنـ حـيـثـ إـنـهـ تـصـرـفـ فـيـ مـالـ الـغـيرـ فـهـلـ يـنـتـرـعـ مـنـ يـدـهـ لـمـسـتـحـقـهـ شـرـعـاـمـ لـاـ.ـ وـمـاـ يـرـتـبـ عـلـىـ ذـلـكـ مـنـ آـثـارـ سـقـوطـ الـعـدـالـةـ أـوـ ثـوـبـهـاـ وـهـذـهـ كـلـهـاـ أـمـوـرـ دـنـيـوـيـةـ.

٢٠٠١ قال: وـالـمـتصـوـفـ يـنـظـرـ فـيـ ذـلـكـ كـلـهـ مـنـ حـيـثـ إـنـهـ حـرـازـاتـ لـلـقـلـوبـ وـمـؤـثـرـةـ فـيـ الـاسـتـقـامـةـ الـيـ هـيـ أـصـلـ الـنجـاهـ.

فـيـرـىـ أـنـ الـصـلاـةـ لـمـاـ كـانـتـ عـبـادـةـ وـأـصـلـهـاـ التـوـجـهـ بـالـقـلـبـ فـإـنـمـاـ يـقـيـ مـنـهـ زـادـاـ لـلـآـخـرـةـ ماـ حـضـرـهـ الـقـلـبـ لـاـ مـاـ غـابـ عـنـهـ.

قال صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ إـنـمـاـ لـهـ مـنـ صـلـاتـهـ مـاـ عـقـلـهـ مـاـ عـقـلـهـ مـنـهـ وـقـالـ إـنـ الرـجـلـ لـيـصـلـيـ الـصـلاـةـ لـيـسـ لـهـ نـصـفـهـ ثـلـثـاـ رـبـعـهـ إـلـىـ عـشـرـهـ.

وـكـذـلـكـ الـإـسـلـامـ الـذـيـ هوـ إـقـارـ وـاعـتـرـافـ إـلـىـ لـمـ تـقـعـ صـورـةـ ذـلـكـ فـيـ الـقـلـبـ حـتـىـ يـظـهـرـ أـثـرـ الـاعـتـرـافـ عـلـىـ الـجـواـحـ بـالـسـخـنـيـ فـيـ الـطـاعـةـ إـلـاـ فـلـاـ أـثـرـ لـهـ فـيـ الـآـخـرـةـ وـكـذـلـكـ

الحال والحرام إنما ينظر فيه من حيث إنّه حزارة في النفس من داء يجترب لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يربك إلى مالا يربك وقال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا يأس به مخافة مما به يأس.

قال: والفقیه لا يتکلم في حزارات القلوب وكیفیة اجتنابها فجیع نظر الفقیه مرتب بالدینیا التي بها صلاح طریق الآخرة فإن تکلم في الإثم وصفات القلب وأحكام الآخرة فلیس من فته.

٢١٠١ وأنا أقول هذا الكلام ليس على إطلاقه ونظر الفقیه لم يرتبط بالدینیا مجرداً لأنّه دینیوی بل هنا أمر آخر هو أیق بمناصبهم وذلك أنّ الشریعة لما اقسم حاملوها كما قدمناه إلى أهل فتیا وشوری يستعين بهم السلطان والکافہ على إمضاء أحكام الله الظاهرة في خلقه وإلى عباد ورهاد اشتغلوا بما يخصّهم في أنفسهم من أحكام الله. وقد يكون الفقیه حاماً للفقهین معاً.

٢٢٠١ ولما كان الأنبياء هداة الخلق إلى الله يأخذون بحاجتهم عن النار فيرشدونهم إلى سعادتهم ويصدّونهم عن شقاوتهم بالزجر أو الضرب أو القتل على تفاوت الأفعال فيما استقلت عليه من المضار باعتبار الأجل.

وعرفة منهم أنّ کال التجاه إنما هو في التلبیس بالتكلیف والإیتیان بها على أتم وجهها وأکل أحوالها من اتفاق الباطن والظاهر ثم مراعاة الباطن ومراقبته حتى لا تخالله غیة ولا يشوبه فقر ودون ذلك مریة أخرى وهو الإیتیان بها کاملة في الظاهر متفقاً مع الباطن إلا أنها تخالله غیة وفقر فلیست هذه کال الأولى في کال التجاه لكنه ربما يؤول إلى التجاه غالباً فضلاً من الله ورحمة.

٢٣٠١ وأدون مراتب التکالیف الإیتیان بها کاملة في الظاهر فقط مهملة من الباطن جملة فلا يعتمد بهذه وليس من التجاه في شيء لكن الشارع لم يجر على هذا حکم التارک جملة من ضرب أو قتل أو زجر إذ لم يجعل على المواطن سبیلاً ووكل المکلف إلى نفسه فهو أعلم بذلك ولما عساه يرجي فيما بعد من صلاح الباطن بصلاح الظاهر قال صلى

الله عليه وسلم هلا شققت على قلبه وقال إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون
أحن بحجه فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فإنما أقطع له من النار.

٢٤١ وعلى تفاوت هذه المراتب الثلاث يتزَّلَّ التفاوت بين الإسلام والإيمان والإحسان
في التكاليف كلها فإن مقام الإسلام هو العمل من حيث ظاهره في قبولي وسقوط
التكليف به أو في رده ومقام الإيمان هو اتفاق الظاهر والباطن في أداء العبادة مع
تخلُّل الغيبة وفي هذا رجاء الجاهة ومقام الإحسان هو اتفاق الباطن والظاهر مع المراقبة
في جميع العمل حتى لا تخلُّل غيبة بوجه وهذا هو الأكمل في حق طالب الجاهة.

٢٥١ وتجري هذه المقامات الثلاثة في جميع العبادات والتکالیف وهذا هو معنى ما
يقوله بعض الأکابر من أن للشريعة ظاهراً وباطناً بمعنى أن لها حکماً على المکلفین من
حيث ظاهر أعمالهم وحکماً عليهم من حيث باطن أعمالهم لا ما يموج به الباطنية
ويزخرفونه من أقوال سفسافه ناقضة لمعاقد الشريعة تقتضي أن الشارع أظهر حکماً
وأبطن آخر تعالى الله عما يقولون.

٢٦١ فعلى هذا الفقيه المفتي هو المستقل بمعرفة هذه الأحكام كلها فإن استفتى من
حيث عرض أعمال العباد على الشعْر والحكم عليها بالصحة أو الفساد والقبول أو الرد
أقنى بما يتعلق بالعاجل كما ذكره الغزالى أنه مختص به.

وإن استفتاه مکلف من حيث ابتقاء الجاه لنفسه أفاده بما يخلصه في الآجل إلا
أن يكون إنما حمل من الشريعة الصنف الأول من الأحكام التي هي متعلقة بالظاهر
فقط من حيث القبول أو الرد في العاجل فامر آخر.

٢٧١ ثم إن هذه الطائفة المختصين برعاية أحوال الباطن وفقه القلوب ما زالوا
يقلون في كل عصر ويختفون في كل قطر لفسح المخالفات وانحطاط النfos في متابعة
الأهواء وطاعة الخواطر حتى صار طريقهم ثيلاً على القلوب لمخالفة الجبلة الطبيعية
 وإرسال العنان في الشهوات الملائمة واستيلاء المطامع والأمنيات في الجاهة
 بالأعمال الظاهرة.

- ٢٨١ مع أنَّ الجمُور يرونهم بعين التجلَّة ويفظون البصائر الخالصة لهم بالآهواه والأفَدَة عقائد إسلامية لقنوها وتدارسوها ومحبَّة بالطبع في الزكاء والخير لوساعدت العزائم عليها فلا يختلج في نفس مسلم عقل أبويه يدينان الدين إلَّا أنَّ الحق في طريقهم والهدى في اتباعهم.
- ٢٩٠١ غير أنَّ فقد الأعوان وقأة المساعدين مدعوة إلى الكسل وسلم إلى البطالة والنفوس أبداً مع الجُمُور الفغير وتقليد الآباء ومسيحة العصر في القول والعمل ولو استيقنت أنَّ السعادة في طريق المخواص لولوعها بحب العاجل الذي آثروه ورکونها إلى ما أفلته وألفوه وتعللها بالأمني فيما توئمه من الاستقامة والرحمة الكفيلة بالنجاة.
- ٣٠٠١ ولعلَ الله سجحانه يصدق ظنونهم ويرحم مسكيتهم فقد قال صلَّى الله عليه وسلم أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظنُّ بي ما شاء وقالت عائشة رضي الله عنها يحشر الناس على نياتهم ومن أفعى بالوجود الأوَّل والرحمة السابقة فلعلَّه ينعم في الوجود الآخر بالرحمة اللاحقة ﴿قُلْ يُبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جِبِيلًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.
- ٣١٠١ ولما تميزت هذه الطائفة بما تميزت به من النظر في أفعال القلوب والاهتمام بها وتقديمها على أفعال المجواح في الشرعيات والعادات كما قال الجيد رضي الله عنه إذا رأيت الصوفي يعني بظاهره فاعلم أنَّ باطنه خراب فاختصوا بهذا الاسم لقباً لهم وعلمَا عليهم.
- وقد تكَلَّف بعضهم فيه الاشتغال ولم يساعدهم القياس فقيل من لبس الصوف والقوم لم يختصوا بلباس دون لباس وإنما فعل ذلك بعض من شبَّه بهم وتخيل من لباسهم الصوف في بعض الأوقات تقللاً وزهداً إلَّا أنه شعار لهم فأعجب بهذا الظن حتى حمله على الاشتغال منه وما لبس الصوف من لبسه منهم إلَّا تقللاً وزهداً إذ كانوا يؤثرون التخلِّي بالفقر في كل حال شأن من لم يجعل الدنيا أكبر همة.
- قال صلَّى الله عليه وسلم لا تجعلوا الدنيا أكبر همكم فتهلككم كما أهلكت من قبلكم وقال صلَّى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربِّه كَمْ في الدنيا كَأْنَكَ غَرِيبٌ أوْ عَابِرٌ سَبِيلٌ.

وثبت أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقع ثوبه بالجلد.

وقال آخرون اشتقاء من الصُّفَّة وأنَّ أصل هذه الطريقة مأخوذ عن أهل الصفة وهم المهاجرون الذين اختصوا بالسكنى في صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أبي هريرة الدوسية وأبي ذر الغفارى وبلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وأمثالهم.

واعلم أنَّ أهل الصُّفَّة لم يكونوا مختصين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريقة في العبادة بل كانوا أسوة الصحابة في العبادة والقيام بوظائف الشريعة وإنما اختصوا بخلافة المسجد للغربة والفقر فإنَّ المهاجرين من قريش نزلوا على أنفاظهم من الأوس والخرج وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وبقي الغرباء فواههم إلى نفسه وأسكنهم مسجده وأمر بمواساتهم وكان يتقدّمهم ويكلّهم معه إلى الدعوات.

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل قال وأهل الصفة أضيف الإسلام لا يأبون على أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها هذا مع أنَّ قياس النسب إلى الصُّفَّة يباه وكذلك من قال إنه مشتق من الصفاء.

فلم يقِّ إلَّا أَنَّه لقب وضع لهذه الطائفة علمًا عليهم يقِّيزون به ثم تصرف في ذلك اللقب بالاشتقاق منه فقيل متصرف وصوفي والطريقة تصوف وللحاجة متصرفون وصوفيون.

وإذا تقرَّرَ أنها علم على هذه الطريقة فلنأت بالقول الذي يشرح ذلك المعنى على طريقة الحدود والرسوم فنقول التصوف رعاية حسن الآداب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقف عند حدوده مقدماً الاهتمام بأفعال القلوب مراقباً خفاياها حريضاً بذلك على البجاة فهذا هو الرسم الذي يميز هذه الطريقة في نفسها ويعطي تفسيرها على ما كانت عليه عند المتأخرین من السلف والصدر الأول من المتصوفة حتى غلب استعمال هذا اللفظ في طريقة المجاهدة المفضية إلى رفع الحجاب على ما نقرره الآن ونوضح من شأنها.

القول فيما سمت إليه هم القوم من المجاهدة وما حملهم
عليها من البواعث وكيف غلب اسم التصوّف في
مجاهداتهم الأخرى واحتضنّ بها عند الكافية وانتقل
إليها عن هذه المجاهدة الأولى وتحقيق هذه الطريقة

ولنسقدم قبل ذلك مقدّمات كاشفة عن حقيقتها.

المقدمة الأولى

١٠٢

في الإشارة إلى معنى الروح والعقل والقلب وما هو الكمال اللاقى بها.

٢٠٢

اعلم أن الله سبحانه خلق هذا الإنسان مركجاً من جثمان ظاهر وهيكل محسوس وهو الجسد ومن لطيفة ربانية أودعه إليها وأرکبها مطية بدنها وهذه الالطيفة مع البدن بمنزلة الفارس مع الفرس والسلطان مع الرعية تصرف البدن في طوعها وتتحرّكه في إرادتها لا يملك عليها شيئاً ولا يقدر على معا الصاتها طرفة عين لما ملّكها الله من أمره وبث من قواها فيه وهي التي يعبر عنها في الشرع تارة بالروح وتارة بالقلب وتارة بالعقل وتارة بالنفس وإن كانت هذه الألفاظ مشتركة بينها وبين مدلولات أخرى وإن أردت مزيد شرح لهذا فعليك بكتاب الغزالى.

٤٠٢

وربما كنى الشرع عليها بالأمانة. قال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالجَبَالِ فَأَبَيَنَ أَن يَحْمِلُنَا وَأَشْفَقَنَ مِنْهَا وَحَمِلَهَا إِنْسَنٌ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ على أحد الفاسير في الأمانة أي ظلوماً لعراضه بحملها للخطر العظيم في أمر السعادة والشقاء عصمنا الله ولطف بنا. وإسناد الحمل إلى الإنسان بجاز من

مجاز المجاورة وإلا فهو مسكون لم يحمل ولم يضع وإنما حمل هذه الأمانة وعرض به كلها لما سبق في أُم الكتاب من سعادته بها أو شقاوته.

- ٥٢ ثم هذه اللطيفة الربانية أبرزها الله من عالم الأمر ذاتها لم تستكمل بعد وجعلها ميسرة بجبلتها للكمال قال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ مُولودٍ يولدُ عَلَى الْفَطْرَةِ فَأَبْوَاهُ يَهُوَدَاهُ وَيَحْسَنُهُ وَيَنْصَرُهُ إِنَّمَا أَبْرَزَتْ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ لِتَكْسُبَ فِيهِ كُلُّهَا الَّذِي لَهَا بِحَسْبِ ذَاتِهَا وَمَقْتَضِي طَبْعِهَا وَلَا كَانَ ذَاتُهَا بِأَصْلِ نَشَائِهَا مِنَ الْعَالَمِ الرُّوحَانِيِّ الَّذِي ذَوَاهُ عَالَمَةً بِالْفَعْلِ لَا تَقْنَرُ إِلَى اِكْسَابِ كَانَ كَالَّذِي هِيَ بِحُصُولِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفِ لَهَا بِحَقَائِقِ الْمُوْجُودَاتِ حَتَّى تَصْوِرَ عَالَمَهَا وَتَعْرِفَ صَفَاتَ مَوْجِدهِ وَآثَارِهِ.
- ٦٢ وَلَمَا كَانَ تَحْصِيلُ هَذَا الْكَمَالَ بِخُروجِهِ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ الَّذِي خَلَقَ لَهَا وَامْتَنَ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْمَكْفِينِ فِي غَيْرِهَا.

موضع من كتابه قال تعالى خلق ﴿لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وجعل لكم ﴿السَّمَاءَ﴾ و﴿جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ﴾ و﴿جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ وغير ذلك من الآيات وكيفية تحصيلها لهذا الكمال بأن يتصرف البدن في هذا العالم بالقوى المبثوثة فيه من هذه اللطيفة وترجع الآثار إليها من أعمالها فتكتسب بها مزيد تطلع إلى الكمال وباعثًا على الاتساع حتى تجلّى لها معلوماتها أو تكاد فتم ذاتها.

- ٧٢ وتزلت حينئذ الأعمال والعلوم بهذه اللطيفة منزلة الغذاء للبدن الذي يبني قواه ويكل هيكله المحسوس إلى أن يصير كهلاً بعد أن يكون صبياً كذلك حال العلم والعمل مع هذه اللطيفة فهي أول خروجها إلى هذا العالم بمنزلة الصبي في أول نشوئه حتى تستكمل في هذا العالم بما يحصل فيها من آثار العلم والعمل.

- ٨٢ ولأنَّ هَذَا الْعَالَمُ عَالَمُ الْمُتَضَادَاتِ بِمَقْتَضِي خَلْقِهِ كَانَ الْآثَارُ الراجِعةُ إِلَيْهَا مِنْ أَفْالَهَا عَلَى نَوْعِينِ مِنْهَا مَا يَكُونُ مُشَيْعًا لَهَا نَحْوَ الْكَمَالِ وَمُعِينًا عَلَيْهِ وَهُوَ الْخَلْقُ الْزَّيْكُ وَالْمُحْسَنَاتُ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ عَائِقًا عَنِ الْكَمَالِ وَصَارَفًا عَنْهُ وَهُوَ الرَّذَائِلُ وَالسَّيِّئَاتُ.
- ٩٢ فَإِنْ كَانَ الْآثَارُ الْمُسْتَفَادَةُ آثَارُ الْخَيْرِ وَالرَّكَاءِ زَادَ فِيهَا تَطْلُعًا إِلَى الْكَمَالِ وَإِقْبَالًا عَلَى الْخَيْرِ وَمِيلًا إِلَيْهِ وَتَيسيرًا في صدوره عنها ثُمَّ إِذَا صَدَرَ ثَانِيَةً وَرَجَعَتْ إِلَيْهَا

القول فيما سمت إليه هم القوم من المجاهدة وما حملهم عليها من البواعث

الآثار عادت الزنادرة مضاعفة فلا تزال كذلك تتضاعف الزنادرة عوداً بعد بدء حتى ترسخ في تلك اللطيفة البذائية صفات الخير المتكللة بالكمال وتسوّلي على أمره وتهيأ به لسعادتها الآجلة.

١٠٢ وإن كانت الآثار المستفادة آثار شرور ورذائل صرفها عن التلطم وقصر بها عن الكمال ويسرها لصدور رذائل أخرى تتضاعف منها آثار الشر والرذائل فيها ولا تزال أيضاً كذلك إلى أن تنتهي إلى شقوتها الكبرى إلا أن يمن الله برحمته وينفذها بططفه قال تعالى ﴿فَمَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى فَسَيِّسَهُ لِلْيُسْرَى وَمَمَّا مَنْ بَخْلَ وَأَسْتَغْنَى وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى فَسَيِّسَهُ لِلْيُسْرَى﴾ وقال ﴿مَنْ عَمَلَ صَلَحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ وقال ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ وقال ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكَسَبَتْ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم إنما هي أعمالكم تردد عليكم.

١١٠٢ فإذا أمد الله هذه اللطيفة البذائية بدور الإيمان وركناها بأعمال الحسنات وطهراها من اقتراف السيئات رجعت إلى الله وقد خلصت من عواقب هذه الدنيا وتباعاتها واستولت على الكمال الذي خلقت له وأبرزت إلى الحياة الدنيا بسببه قال تعالى ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ قال ابن عباس معناه ليعرفون وقال تعالى ﴿إِنَّا مَرْجِعُكُمْ فَنَبْئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

المقدمة الثانية

١٢٠٢ في كيفية اكتساب هذه اللطيفة البذائية العلوم والمعارف التي بها كمالها وفيه فرق بين العلم الکسبی والإلهامی وبين الوحي ليتيّن من بين ذلك معنى العلم الإلهامی وهو علم الكشف والمشاهدة الذي تدعیه المتصوّفة

١٣٠٢ أعلم أن هذه اللطيفة لما أركبت مطية البدن وثبت قواها فيه للاستكمال بحياتها الدنيا ثم كات من عالم الأمر والملائكة تعیت لها جهتان تكتسب منها كمالها

القول فيما سمت إليه هم القوم من المجاهدة وما حملهم عليها من البواعث

بالعلوم والمعارف إحداها جهة هذه الحياة الدنيا التي خلقت لها وجميع ما فيها مسخر لها والأخرى جهة عالمها الذي نشأتها منه وذاتها من طبيعة ذاتها.

١٤٠٢ فجهة الحياة الدنيا والعالم الأسفل تكتسب منها العلوم والمعارف بيسط الحواس الظاهرة على المدركات ثم بانتزاع صورها في الخيال ثم تجريد المعاني المعقولة منها ثم تصرف الفكر فيها بالتركيب والتحليل ونظم الأقىسة حتى يحصل مطلوبها الذي توجه إليه ويسعى هذا العلم كسيّاً.

١٥٠٢ وجهة العالم الأعلى وعالم الأمر وعالم الروحانيات تكتسب منه بتصنفيتها عن كدرات الرذائل وتخليصها من ظلم البشرية فتترعرع بذلك لغات الرحمة ومهب الكمال والسعادة فتلوج أنوار العلم والمعرفة في القلب.

١٦٠٢ ثم إن صفاءها عن الكدرات وتخليصها بالمجاهدة إن كان بغريزة مركزة في الجبلة من لدن نشوئه وهي العصمة ماغفة من مقايربة جميع ما تتوهم فيه مخالفة وكانت الظلم البشرية محورة وحظ الشيطان متزوعاً من القلب بنور النبوة فكان العلم اللاخ من ذلك العالم بسبب يورده ويلقيه مع مشاهدة المورد له وهو الملك وهذا هو الوحي وهو علم الأنبياء صلوات الله عليهم وهو أرفع مراتب العلم.

١٧٠٢ وأما إن كانت التصنيفة والتخليص باكتساب طريق صناعي فإن العلم المفاد عنه لا يشعر بسببه ولا مورده وإنما يكون نفأاً في الروع وهو دون العلم الأول وهذه علوم الأولياء والصديقين وهي العلوم الإلهامية والكشفية واللدنية مأخوذ من قوله تعالى أتيناه ﴿من لَدُنَّا عِلْمًا﴾ .

١٨٠٢ أما الوحي والعلم الكسيي فأمرهما ظاهر هذا بالحسن وذاك معلوم من الدين ضرورة وأما العلم الإلهامي فيكاد أن يكون التصديق به وجداً وأوضح ما يعتبر فيه ويشهد بصدقه حال الرؤيا وكيف تكون إذا انسدل جباب النوم وخف عن القلب إصر الحواس الظاهرة والجمعت قواه إلى الباطن كيف يفضي ذلك به إلى أن يختلس إدراكاً ما من جانب عالمه صريحاً أو مثلاً ومحاكاً يشهد صدقه في اليقظة بصحة إدراكه وما

ذلك إلا لخفةُ الكثيرون من عوائقِ هذا الإدراكِ بركودِ الحسنِ الظاهرِ فكيف لو ارتفعت جميع العوائقُ البدنيةُ واحتَّت سائرَ الصفاتِ البشريةِ.

قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّؤْيَا الصَّالِحةُ جُزْءٌ مِّنْ سَيْنَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِّنَ النَّبُوَةِ
وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّؤْيَا مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ. وَكَانَتْ بِدَائِيَةً أَحْوَالَ الْوَحْيِ وَالْإِطْلَاعِ
إِلَى عَالَمِ الْمُلْكُوتِ الرَّوْيَا قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْلَى مَا بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
الْوَحْيِ الرَّوْيَا الصَّادِقَةُ فَكَانَ لَا يَرِي رَوْيَا إِلَّا جَاءَتْ كُلُّهُ الصَّحِيفَ.

وَقَدْ مُثِلَّ الْفَرَنَانِ النَّفْسَ فِي وَرُودِ الْعِلْمِ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهَتَيْنِ بِمَثَالِيْنِ أَحَدُهُمَا بِالْحَوْضِ
الَّذِي يَرِدُ عَلَيْهِ الْمَاءُ تَارِيَةً مِنْ أَنْهَارٍ تُورِدُهُ عَلَيْهِ مِنْ خَارِجٍ وَتَارِيَةً يَنْبَغِي فِيهِ مِنْ فُوهَةٍ
بِأَسْفَلِهِ سَدِّهَا التَّرَابُ وَغَطَّاهَا فَالْحَوَاسِنُ وَالْفَكَرُ فِي حَقِّ أَهْلِ الْأَكْسَابِ كَالْأَنْهَارِ
لِلْحَوْضِ وَالتَّصْفِيَةِ وَالْمُجَاهِدَةِ فِي حَقِّ أَهْلِ الْإِلَهَامِ كَإِزَالَةِ التَّرَابِ عَنْ مَنْبَعِ الْمَاءِ
بِأَسْفَلِ الْحَوْضِ.

وَالْمَثَالُ الثَّانِي بِصَنَاعَةِ الْهَنْدِ وَالْصِّينِ لَمَّا أَمْرَوَا بِنَقْشِ حَائِطِيْنِ مِنْ بَيْتِ
الْمَلَكِ وَرَسَمَا الأَشْكَالَ فِيهِمَا وَكَيْفَ اشْتَغَلَ فَعْلَةُ الْهَنْدِ بِالْتَّصَاوِيرِ الْمُحَكَّمةِ وَالْمُتَائِلِ
الْمُوَهَّمَةِ وَالرَّقْمِ الْبَدِيعَةِ وَاشْتَغَلَ فَعْلَةُ الْصِّينِ بِصَقْلِ الْحَائِطِ الْمُقَابِلِ لَهُمْ وَبِيَنِهِمَا
جَبَابٌ مَنْسُدَلٌ حَتَّى أَتَوَا عَلَى آخرِ عِلْمِهِمْ فَقِيلَ لِفَعْلَةِ الْصِّينِ مَا فَعَلْتُمْ أَنْتُمْ قَالُوا أَكْنَا فَلَمَّا
قِيلَ هَاتُوا بِرَهَانَكُمْ وَأَزِيلَ الْجَبَابُ الْحَائِطُ انْطَبَعَتْ نَقْوِشُ أَهْلِ الْهَنْدِ وَتَمَاثِلُهُمْ بِأَجْمِعِهَا
فِي الصَّقْلِ الْمُقَابِلِ فَكَانَتْ أَنْتُمْ جَمِلاً وَأَحْسَنُ مَحَاكَةً.

وَهَذَا الْمَثَلُانِ إِنَّمَا يَفِيدُ بِهِمَا عَنْدَ الْجَمِيعِ إِنَّمَا يَفِيدُهُمَا عَنْدَ ذِي الْطَّبِيعِ السَّلِيمِ
وَالْبَصِيرَةِ النَّافِذَةِ وَالذُّوقِ الصَّحِيفِ مَعَ أَنَّهُ لَا يَرْهَانُ يَشَهُدُ لِلْقَوْمِ عَلَى عِلْمِ الْإِلَهَامِ وَصَحَّةِ
وَجُودِهِ أَوْضَعُهُ مِنَ الرَّوْيَا.

ثُمَّ نَزَدَ ذَلِكَ بِيَانًا وَشَرْحًا فَنَقُولُ إِنَّ اللهَ سُجَانَهُ لَمَّا خَلَقَ هَذَا الْخَلْقَ لَمْ يَرْزِهِ إِلَى
الْوَجُودِ الْحَسَنِيِّ دَفْعَةً بَلْ درْجَهُ فِي أَطْوَارِ فَأَوْدَعَهُ أَوْلَى بِجَمِيعِ حَقَائِقِهِ وَذُوَّاتِهِ كَبِيرَهَا
وَصَغِيرَهَا جَمِيعَهَا وَمُفْتَرِقَهَا فِي كِتَابِ سَمَاءِ الْلَّوْحِ وَسَمَى إِيَادَاهُ الْقَلْمَ حَسْبًا تَشَهُدُ
بِذَلِكَ ظَواهِرُ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ الْلَّوْحِ حَقَائِقُ مَا كَانَ أَوْ سِيَكُونُ أَوْ هُوَ كَانَ إِلَى يَوْمِ

القول فيما سمعت إليه هم القوم من المجاهدة وما حملهم عليها من البواعث

القيامة ثم أبرزه من ذلك اللوح إلى الوجود الحسي على تدرج في الكون. معلوم
فلا نطول به.

ولما فطر هذه اللطيفة الربانية على الاستكشاف بالمعرفة والعلم بحقيقة تلك الموجودات ٢٢٠٢ وصفات موجودتها جعل لها جانبين جانب تجاه الوجود الحسي يؤدي إليها صور تلك الموجودات ينبع منها الحس من الموجودات انتزاعاً ثم يجرد العقل معانيها تجريداً ثم يرتبها الخيال والفكر ترتيباً مفيداً وجانب تجاه ذلك اللوح يتعرض به إلى انطباع صور تلك الموجودات فيه ثم كانت الصفات البشرية والأحوال البدنية مانعة من ذلك الانطباع وحائلة دونه وتجاباً بين اللوح وبين تلك اللطيفة فإذا ارتفع الحجاب بالتصفيه والتخلص من الكدرات وقع الإدراك على أتم الوجه وكان أكمل من الإدراك بالجانب الآخر إذ الحس والخيال غير مأمونين على انتزاع الصور والحقائق من الموجودات الحسية حتى تؤديها كما هي.

وليس الفكر أيضاً بأمون على تجريدها وترتيبها الترتيب الذي يفيد تصوّرها إذ هما آثار وواسطات لهذه اللطيفة في إفادة مالها من ذاتها واللطيفة بنفسها مأمونة على انطباع الصور في ذاتها لأن ذلك لها من ذاتها فتحصيل مالها من ذاتها بذاتها أو ثق من تحصيله بغيرها والثقة فيه بنفسها أولى من الثقة بغيرها.

فلهذا كان إدراكها من هذا الجانب أوضح ولهذا كان أفالاطون وهو كبر الحكماء وكثير المتصوفة الأقدمين لا يرى في مدارك العلم الكسيبي الحائمة على العالم الروحاني برهاناً قطعياً ويقول إنما يصل بها إلى الأولى والأخلقي بجعل العلم الكسيبي مع الإلهامي بمثابة الظلن مع العلم.

ثم إن القرآن والسنة شاهدان بأن القوى مفتاح الهدى والكشف وذلك علم من غير تعلم. قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ﴾ يوقنون وقال ﴿هَذَا يَبَانُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرَقًا﴾ قيل نوراً يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان عليه السلام يكثر في دعائه من سؤال النور فيقول اللهم

وزدني نوراً وأجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي شعرى وبشري
ولحي ودي وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِي نَعْمَانَهُمْ سُبْلَنَا﴾ وقال
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ كُمُّ الْأَلْهَمُ﴾.

وسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ
صَدْرَهُ لِلْإِسْلَمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾ فقال هو التوسعة إن النور إذا قُذف
به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم
أورثه الله علم ما لم يعلم وقال من أخackson لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه وقال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وقال إن من أتمي
محدثين وإن عمر منهم.

وقال أبو يزيد ليس العالم الذي يحفظ من كتاب الله فإذا نسي صار جاهلاً إنما
العالم الذي يأخذ العلم من ربها في أي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس.

إلى مثله الإشارة بقوله تعالى ﴿وَعَلِمَتْهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ^{٢٨٠٢} كما تقدم فإن كل علم
من لدنها لكن بعضها بواسطة التعليم فلا يسمى ذلك علمًا لدنيا بل العلم اللدئي الذي
يفتح في سر القلب من غير سبب مأثور من خارج الشواهد في هذا أكثر من
أن يحصى.

وأما وقوع ذلك في الصحابة والتابعين ومن بعدهم فكثير. قال أبو بكر لعاشرة رضي
الله عنها إنهما أختاك وكانت حاملاً فولدت بنتاً وقال عمر رضي الله عنه أشاء
خطبته في القصة المشهورة يا سارية الجبل. وأمثال هذا كثير لو استقصينا لخرجنا
عن الغرض بالإطالة.

المقدمة الثالثة

- ٢٩٠٢ في معنى السعادة الأخروية وتفاؤتها وحرص أهل الهمم على الفوز بالنوع الأعلى منها وهو النظر إلى وجه الله وطلب سببه المؤدي إليه وهو معرفة الله في الحياة الدنيا برفع المحبب
- ٣٠٠٢ أعلم أنَّ معنى السعادة هو حصول العيم واللذة باستيفاء كل غيرة ما يشتق إلهيًّا مقتضى طبعها وذلك هو كاللها فلذة الغضب بالانتقام ولذة الشهوة بالغذاء أو النكاح ولذلة البصر بالرؤيا ولذلة هذه اللطيفة الروحانية بحصول العلم والمعرفة لأنَّه كما قدمنا مقتضى طبعها وغريتها.
- ٣١٠٢ ثم تقاوِت اللذات بتقاوِت الغرائز في نفسها وقد تبيَّن أنَّ هذه اللطيفة أكل الغرائز المدركة فلذتها بالإدراك أتم وأعظم ثم تقاوِت أيضًا بتقاوِت المعلومات فالعلم بالنحو والفقه والشعر ليس كالعلم بالله وصفاته وأفعاله والاطلاع على أسرار السوق والملاحين ليس كالاطلاع على أسرار الملوك وبواطن تدبيرهم ثم يقاوِت هذا العلم أيضًا مع الكسيبي كما قدمناه.
- ٣٢٠٢ فإذا كان في المعلومات ما هو أجل وأشرف وفي العلوم ما هو أتم وأوضَع وإن كان الشوق إلى العلم به شديداً فالعلم به أللَّا العلوم لا حالة وليس في الوجود أعلى ولا أشرف وأكل من خالق الأ... بالأشياء موجودها ومرتبتها ومصوَّرها وهل يتصور إن تكون حضرة في الكمال والجمال أعظم من الربوبية التي لا يحيط بمبادئ جلالها وصف واصف فإذا نظر إلى أسرارها والعلم برتيبتها الحيط بكل الموجودات علماً لدُّنِيَّا إلهاميًّا واطلاعاً كثيفًا هو أعلى أنواع المعرفة وأوضحها وأكمَّها وأللَّاها وأحرى ما يحصل به الابتهاج والفرح ويُستشعر به الكمال.
- ٣٣٠٢ فقد تبيَّن أنَّ العلم لذيند وأنَّ أللَّا العلوم معرفة الله وصفاته وأفعاله وتدير مملكته بالعلم الإلهامي الذي قدمنا شرحه ولا سيما من طال فكره في ذلك وحرصه على

الاظلاء على أسرار الملكوت فإنه يعظم فرحة عند الكشف بما يكاد يطير له وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق والحكاية في قليلة الجدوى .

٢٤٠٢ ولقد يستشعر شيئاً من هذه اللذة طلاب العلم الكسبي عند اكتشاف المشكلات وانخال الشبهات التي يطول حرصهم عليها وشوقهم إلى معرفتها فاللذة على ضربين لذة الغرائز البذرية بمحصول مقتضي طباعها ولذة للقلب بمحصول مقتضي طبعة وغيرها وهو العلم . وأعلاها لذة معرفة الله تعالى وصفاته ولذة جمال مطالعة حضرة الربوبيّة هي التي عنى النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله أعددت لعبادِ الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . إلا أنَّ هذه المطالعة والمعرفة يقع فيها بعد الموت مزيد كشف واتضاح كان البدن مانعاً منه ويتنزل منزلة البصر وهو المبرّعنه بالرؤيا .

٢٥٠٢ ويبيان ذلك أنَّ البصر إذا رأى شخصاً ثم غمضت الأجهاف دونه يقى مختيلاً ثم إذا فتح أجهفانه مرة أخرى رأه كأنَّا كأنَّا أوَّلَّا بين الحالين تفرقة وليس إلا في مزيد الكشف والاتضاح في الإدراك وإلا فالمريء بحاله وكذا إذا أدرك هيكل شخص في غسق من الليل أو سدفة ولم يتثنّي وحصل في خياله فإنه إذا انتشر الضوء ووضوح الصباح اتضّح إدراكه وأحاط به من جميع جهاته والمريء باق بحاله .

٢٦٠٢ فهذه رتبتان في الإدراك عندما يكون مختيلاً ثم عندما يصير مريئاً فلا يبعد إذن أن يكون في العلم بالموجودات البرية عن الخيال كالباري وأفعاله رتبتان أيضاً إحداهما أتمّ وضوحاً من الأخرى وتكون المتضمة منهما بعد الموت بارتفاع حجاب البدن وزوال مانعه وتكون نسبة البدن نسبة الأجهاف التي كان انطباقها حائلاً دون كمال الإدراك ووضوحيه في المخيل ونسبة الغسق والسدفة الذي كان مانعاً من ذلك وإذا كان هذا الوضوح حاصلاً في الإدراك فالمانع أن يخلقه الله في العين أو فيما شاء من الموارج والأعضاء .

١ (مرة) أضيفت للسياق كما في طـ، حـ .

فإذا زال الحجاب بالموت وكان المخل صافياً عن الخبرات البدنية والكلدرات الخلقية
وأكمل الله تطهيرها وتركتها تجلّى له الحق تجلّياً يكون انكشاف تجلّيه بالإضافة إلى
ما عالمه قبل كانكشاف تجلّي المرئيات بالإضافة إلى ما تخيّله قبل فالرؤى من غير
شكل ولا تقدير صورة حق وهي زيادة وضوح وكشف في المعرفة الحاصلة في الدنيا
ومعروف لها كالبذر الذي ينقلب مشاهدة كما ينقلب البذر شجراً والبذر زرعاً فمن لا
نواة له لا يكون له نخل فمن لم يلتذ بشيء من المعرفة هنا لم يلتذ بشيء من الرؤى
هناك إذ لا يستأنف أحد في الآخرة عملاً لم يصحبه في الدنيا إنما هي دار جراء
لا دار تكليف قال صلى الله عليه وسلم يوم الموت على ما عاش عليه ويحشر على
ما مات عليه.

وإنما هو إن تقلب المعرفة نظراً ومشاهدة فتعظم اللذة كما تعظم لذة العاشق بروءة
محبوبه ولما كانت المعرفة السابقة في الدنيا تقاوت إلى غير نهاية فالتجلي أيضاً يتفاوت
وقد قدمتنا تقاوت إدراك البصر في الشخص المرئي في سدة الظلم فلا يبعد مثله في
تجلى الذوات البرية عن الخيال. قال صلى الله عليه وسلم إن الله يتجلى للناس عامة
ولاي بيكر خاصة. وما ذاك إلا لما امتاز به من كمال المعرفة.
قال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بسر وقر
في صدره إشارة إلى المعرفة كما قدمناه.

فقد تبيّن أن السعادة الأخرى للأكفل سعادتان سعادته الجسمانية بلذة غرائزه
وقواه وسعادته القلبية بلذة النظر إلى وجه الله وإن كانت جارحة النظر من البدن
فاللذة هي بالمعرفة الناشئة عن الإدراك وهي في القلب وهذه السعادة أهم عند
العارفين وأكبر وهم لها أثر.

قال الشوري لراعة ما حقيقة إيمانك فقالت ما عبدته خوفاً من ناره ولا طمعاً في
جنته فأكون كالأخير السوء بل عبدته حبّاً له وشوقاً إليه وقيل لها ما تقول في الجنة
فقالت الجار قبل الدار. والحكايات عنهم في هذا الباب كثيرة.

المقدمة الرابعة

٤٠٢ في أن لذة المعرفة الكشفية قد تحصل في الحياة الدنيا واختلاف مراتبها

٤١٢ أعلم أن هذه اللطيفة الربانية التي فينا إذا حصل لها بالتصفيه والمجاهدة العلم الإلهامي كما قدمناه ويسعى كشفاً واطلاعاً فهو ذو مراتب تختلف وتتفاوت بتفاوت الصفاء والتخصص من القدرات فبدوئها الحاضرة وهي آخر مراتب الجباب وأول مراتب الكشف ثم بعدها المكافحة ثم بعدها المشاهدة ولا تكون إلا إذا احت آثار الإثابة. قال الجنيد رضي الله عنه صاحب الحاضرة مربوط بياته وصاحب المكافحة يدنه علمه وصاحب المشاهدة تحوه معرفته. قال الأستاذ أبو القاسم.

الحاضرة حضور القلب وقد يكون بتواء البرهان وهو بعد وراء الستر وإن كان حاضراً باستيلاء الذكر^١ ثم بعده المكافحة وهو حضوره بنت البيان غير مفتر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل وطلب السبيل ولا مستحير من دواعي الريب ولا محجوب عن نعمت الغيب ثم المشاهدة وهي وجود الحق من غير بقاء تهمة.

٤٢٢ ومثال هذا التفاوت في الانضاج أن تبصر زيداً في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت إشراق الشمس فهذا كمال الإدراك وأخر يدركه في بيت أو من بعده أو في وقت عشيّة فيتّمّل من صورته ما يتيقّن معه أنه هو ولكن لا تمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا يتصور في تفاوت المكافحة للعلوم الإلهيمية وأقصى مراتب هذا الكشف وأعلاها هي رتبة المشاهدة وهو المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وأسرار ملوكه في أكل رب المعرفة وقد بیننا أن المعرفة بذر في هذه اللطيفة يسّرها^٢ في الآخرة للسعادة الكبرى التي هي النظر إلى وجه الله وأن تلك السعادة التي هي الجليّ هنالك تتفاوت بتفاوت المعرفة هنا والرتبة العليا من المعرفة وهي المشاهدة عزيمة الوجود شريفة شرودة وإنما تحصل لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية التي لا فوقها.

١ في الرسالة القشيرية: سلطان ذكر. ٢ ي: تيسّرها.

٤٣٢ إذا تقررت هذه المقدّمات فلنبيّن حال القوم في هذه المجاهدة والتضفيّة وما اشتّرطوا في إفضائهما إلى الكشف من الشروط والأحكام والآداب وما تواضعوا عليه من الاصطلاحات وكيف غلب استعمال التصوّف في ذلك حتّى صار علماً عليه ولقباً له كما وعدهنا بذلك كله قبل.

٤٤٢ أعلم أنا كتنا شرحنا مسني هذه الطريقة عند الصدر الأوّل من القوم وأنّها رعاية الأدب في الباطن والظواهر ثمّ لما أقبلوا على مراعاة بواسطتهم وتوجّلوا في تخليص قلوبهم وحفظ أسرارهم وحصلت فيها التضفيّة فأشرقت أنوار العلم الإلهاميّ كما قدّمنا آنه ناشئ عن التضفيّة وأرقع الحجاب وحصلت اللذة ووقع التادي في ذلك فحصلت المكاشفة ثمّ وقعت المشاهدة لمن تمكن في مقامات سلوكه وبلغ الغاية من صفاء قلبه فسمت هم الكثير منهم إلى تجاوز هذه المراتب كلّها إلى المشاهدة التي هي إكسير السعادة العظمى في الآخرة وهي النّظر إلى وجه اللهُ الكريم واحتّرموا في المجاهدة والتضفيّة المفضية إلى حصول العلم الإلهاميّ شرطاً نذكرها فيما بعد.

٤٥٢ وصارت رعاية الآداب الشرعية في الباطن والظاهر من أوائل المعارج لهذه المجاهدة إلا أنّ الراسخين منهم لا يستخفون ركب المشاهدة لما فيه عندهم من الغرر وأنّ القوى البشرية عاجزة عن احتمال المطلع ويرون أنّ اليسر من رفع الحجاب وحصول المعرفة الإلهامية بذرٍ في القلب لحصول النظر في الآخرة ولو كان بذرًا قليلاً فهو أولى من البذر الكثير المقترب بالخطر الشديد والغرر العظيم وهذا مشاهد فإنّ كثيراً من استحكمت فيه التضفيّة وبلغت بعد رفع الحجاب مبالغها غافصه إشراق أنوار التجلّي . والمشاهدة عند اتحاء ذاته فغرقوا في بحر التلف.

٤٦٢ فنهم من هلك لحيته كما وقع للمريد الذي كان يقول رأيت الله . فقال أبو يزيد لو رأني هلك ففرض له . فلما وقع بصره على أبي يزيد مات في قصة مشهورة وأمثاله كثير .

ومنهم من اختطف وجذب وفقد عقل التكليف ولقى بالجانين والمستهرين
كبهلوں من شیوخ الرسالة^١ وغيره. ومنهم من يبق شاصاً غير متحرك إلى أن
يموت. ومنهم من يثبت لهذه المشاهدة وإشراق أنوار التجلي وقيل ما هم قال صلى
الله عليه وسلم إنَّ اللَّهَ سبعين حجاباً من نور فلوشك عن وجهه لأحرقت سجعات
وجهه ما أدرك بصره.

٤٧٠٢ وقد يكون صاحب هذه المشاهدة متجاوزاً لمقامها متكمًا فيه فيكون أثبت لهذا
التجلي وأقوى على احتماله فإنَّ المريد إذا استولى على مقام فهو ما دام يستولى عليه
يمكِّن فيما قبله.

قال الأستاذ أبو القاسم في باب البواده ومنهم من يكون فوق ما ينفه حالاً وقوتاً
أولئك سادة الوقت.

ولما رجع من رجع منهم من هذا السفر فائزًا بالغنية حاصلاً على الغاية حذروا
من غرر هذا الطريق وخطره حتى في نفس المقصد الذي أله الجاهة أعادنا الله فإن
سلم من هذا كله ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْرًا عَظِيمًا﴾.

٤٨٠٢ قال شيخ العارفين: لا تطلبوا المشاهدة فإنَّ في شهود الحق ثبور الخلق وقال أبو
علي الجوزجاني كن صاحب استقامة لا صاحب كرامة فإنَّ نفسك متحركة في طلب
الكرامة وربك يطلبك بالاستقامة وقال غيره من أئمتهم وقد تكلم في المجاهدة
وين طريق السلوك ثم قال وإنما أوردناه تنبيهاً لمن استجعلى لذة المشاهدة في غير
موطنها الثابت وحالة الفناء في غير منزلها فإنَّ السادة متأففو من ذلك ثم قال
فقد حصلت ما كان ينبغي لك أن تؤخره لموطنه وهو الدار الآخرة التي لا عمل فيها
فإنَّ زمان مشاهدتك لو كنت فيه صاحب عمل ظاهر وتقي علم باطن كان أولى بك
لأنك تزيد حسناً وجمالاً في روحانيتك الطالبة ربها ونفسانيتك الطالبة جتها فإذا
انفصلت من عالم التكليف وموطن المعارض والارتفاعات حينئذ تجني ثمرة غرسك
انتهى كلامه.

١ بي، ط: الرياسة.

القول فيها سمتٌ إليه هم القوم من المحاجدة وما حملهم عليها من البواعث

فانظر كيف تضمن هذا الكلام النهي عن طلب المشاهدة وإن الاستزادة من العلم
الباطن الإلهامي^١ موجب لحصول تلك المشاهدة بعد الموت فهو أولى لأنَّه زيادة في
الغرس يقضي بمزيد الثمرة.



١: الإلهي.

الكلام في المجاهدات وأقسامها وشروطها
وخلاصة القول في ذلك على ما تأدى إلينا من
تصنيف مذاهبهم وتتبع أقوالهم أن المجاهدة على
ثلاثة أنواع متفاوتة بعضها متقدم على بعض

١٠٣ فالمجاهدة الأولى مجاهدة التقوى وهي الوقوف عند حدود الله كما مرّ أول الكتاب لأنّ الbaith على هذه المجاهدة طلب النجاة فكأنّها اتقاء وتحرّز بالوقوف عند حدود الله عن عقوبته وحصولها في الظاهر بالنزوع عن المخالفات والتوبة عنها وترك ما يؤذى إليها من الجاه والاستكثار من المال وفضول العيش والتعصب للمذاهب وفي الباطن بمراقبة أفعال القلب التي هي مصدر الأفعال ومبدؤها أن يمّ بمقارفة محظور أو إهمال واجب. قال ابن عطاء للتقوى ظاهر وباطن ظاهره حفاظة الحدود وباطنه النية والإخلاص. وحقيقة هذه المجاهدة هي الورع. قال صلّى الله عليه وسلم الحلال بين الحرام بين وبينهما مشتبهات فمن اتّقى المشتبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كان كالراجح حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه وقال صلّى الله عليه وسلم دع ما يرييك إلى ما لا يرييك وقال ابن عمر حقيقة التقوى أن تدع ما لا يأس به مخافة مما به يأس وقال لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كذا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام.

٢٠٣ المجاهدة الثانية مجاهدة الاستقامة وهي تقويم النفس وحملها على التوسط في جميع أخلاقها حتى تهذب بذلك وتحقق به فتحسن أخلاقها وتصدر عنها أفعال الخير بسهولة وتصير لها آداب القرآن والنبوة بالرياضية والتهذيب خلقاً جليلة لأنّ النفس

طبعت عليها والباعث على هذه المواجهة طلب الفوز بالدرجات العلي درجات **﴿الَّذِينَ أَنْهَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْتَّيْنِ وَالصَّدِيقَيْنَ﴾** إذ الاستقامة طريق إليها قال تعالى **﴿أَهَدِنَا الصَّرْطَ لِلسْتِقَمَةِ صِرْطَ الَّذِينَ أَنْهَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾** وما كلف الإنسان بطلب هذه الاستقامة سبع عشرة مرّة في اليوم والليلة عدد ركعات الفرض التي يجب فيها قراءة ألم القرآن إلا لعسر هذه الاستقامة وعرة مطلبتها وشرف ثمرتها وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تمحضوا.

وتحصل هذه الاستقامة بعلاج خلق النفس ومداواتها بمضادة الشهوة ومخالفة الهوى ومقابلة كل خلق يحس من نفسه هواء والميل إليه والاعتداد به بارتكاب ضده الآخر كمعالجة البخل بالسخاء والكبر بالتواضع والشره بالكفر عن المشتهي والغضب بالحلم. قال تعالى **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْشُرُوا وَكَانَ يَنِّيْ ذَلِكَ قَوَاماً﴾** وقال **﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا وَلَا شُرِفُوا﴾** وقال **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَعْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾** وقال تعالى **﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَنِيهِمْ﴾**.

ثم مع هذا العلاج لا بد من الصبر على مرارته قال الشيخ أبو القاسم الجنيد أعلم أن الاستقامة لا يطيقها إلا الأكبّر لأنها خروج عن المعهودات ومقارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق وقال في معنى قوله صلى الله عليه وسلم شبيّتني هود وأخواتها إله لما فيها من تكليف الاستقامة في قوله تعالى **﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾** لكن الأفعال ولو كانت أول صدورها متکلفة وصعبة شاقة فإذا تكررت ارتفعت آثارها إلى النفس شيئاً فشيئاً ولا تزال كذلك حتى تصير صفة راسخة وجبلة طبيعية كما يقع لتعلم الكتبة مثلاً يتکلفها أولاً شاقة عليه ولا تزال آثارها ترتفع إلى النفس شيئاً فشيئاً حتى تحصل صفة الكتابة للنفس كأنها جبلة وتصدر الكتابة الحسنة كأنها مقتضى الطبع.

وليس المراد من هذا العلاج في هذه الاستقامة قمع الصفات البشرية وخلعها بالكلية فإنها غرائز جبلية خلق كل منها لفائدة فلا يتصور قلع الشهوة إلا لهلك

الإنس جوعاً وانقطع الإنسان تبتلاً ولا قلُّ الغضب إِلَّا لهلك بالعجز عن مدافعة المعتدي بل المراد من هذا العلاج تمكُّن الاستقامة في النفس حتى تصرف هذه الغرائز بمقتضى أدب الله تصريفاً جيلياً لما فيه من التوطين على ما تشير إليه بعد الموت ومن قطع علاقه الحياة والإقبال على الله فتأتي الله بقلب سليم من الميل عن الاستقامة لأنها كلما مالت عن الاستقامة علقت بها صفة من خلقها تشبت به وأقبلت عليه وحصل لها بقدر الإقبال عليه إعراض عن الله وهذا هو معنى محظوظات المذمومة عن القلب وتزكية الصفات الحمودة إذ كل مائل عن الوسط والاعتدال مذموم.

٦٢ واعلم أن هذه الاستقامة فرض عين في حق الأنبياء صلوات الله عليهم قال تعالى ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ وقال ﴿إِنَّكَ لَمَنَ الْمُرْسَلُونَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ و قال تعالى لوسى وهارون عليهما السلام ﴿فَاسْتَقِمَا وَلَا تَشْيَعَا سَيِّلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ و قالت عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن حُلُق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت للسائل أما قرأ القرآن كان حلقه القرآن . وتأديب القرآن له صلى الله عليه وسلم في كل آية وبحسب كلأخذ وترك ثم إنما صلى الله عليه وسلم المقصود الأول بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فأدبه أولاً بالقرآن ثم أدبه بالخلق به قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

٧٢ وشروط هذه المواجهة الإرادة أولاً ثم الرياضة ثانياً وليس قصدتهم بالإرادة مدلولها في المشهور وهو تخيل الشيء ثم القصد إليه فإن هذا عندهم حديث نفس وإنما الإرادة عندهم استيلاء حال اليقين على القلب حتى تتبع العزائم بالكلية إلى الفعل مغلوبة فيه فكان المريد مجبر في إرادته لا مختار.

قال الأستاذ أبو القاسم الإرادة بدء طريق السالكين وهي اسم لأول منازل القاصدين إلى الله وإنما سميت هذه الصفة إرادة لأن الإرادة مقدمة كل أمر فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله فلماً كان هذا أول الأمر لمن سلك طريق الله سمي إرادة تشبيهاً بالقصد في الأمور التي هو مقدمتها والمريد على موجب الاشتقاء من له إرادة كما أن العالم من له علم لأنها من الأسماء المشتقة . ولكن المريد في هذه الطريقة من

لا إرادة له فمن لم يجرد عن إرادته لا يكون مریداً كما أنَّ من لا إرادة له على موجب الاستيقاظ لا يكون مریداً وحقيقة نهوض القلب في طلب الحق وقيل لوعة تهون كل روعة.

وأما الرياضة وهي تصفية القلب عن الرذائل والخبائث المذمومة وتركه بالفضائل المحمودة التي هي الاستقامة والاعتدال في كل خلق من أخلاقه وغرائزه الجبلية^١ فعلاج ذلك يكون في الظاهر أولاً برفض ما يقع إليه الميل غالباً ويستهوي به الشيطان قلوب المؤمنين من زينة الدنيا ولذاتها^٢ وهو الجاه والمال ومخالطة الخلق وشهوات البطن والفرج والراحات من النوم والملاد. قال الله تعالى ﴿رِئَنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَتْلِيرُ الْمُقْنَطِرَةُ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ السَّوْمَةِ وَالْأَغْمَمِ وَالْحَرَثِ ذَلِكَ مَشْعُّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ فيجتذبها ويزهد فيها ويحرجها هجران الحيات القوائل ما دام مائلاً عن الاستقامة حتى يظفر بها ويتمكن في مقامها.

ثم يحتاج ثانياً في الباطن إلى علاج ما يمكن من آثارها وارتفاع من علاقتها فلا بد أن يخليه من ذلك كاً أخلاقياً الظاهر من أسبابه وفيه تطول المواجهة وتختلف باختلاف الأحوال والسن والمناج ومتى يغلب من الصفات المذمومة وعلم ذلك غامض إلا على من يسره الله لليسرى وربما كان الشيخ من ميسرات الله وأسباب هدايته. والقانون العام في هذه الرياضة والعلاج خالفة الهوى ومضادة الشهوة والباعث في كل صفة غالبة على نفس المريد كما قدمناه حتى تحصل الاستقامة والاعتدال ويزهد الهوى والميل إلى شيء من جانبي الغرائز الجبلية فيتساوى عنده الفعل والترك والوجد والفقر ويصرف قواه في طاعة الحق العدل فيتحمّض بجانب الله وحينذاك يتراجع في حقه زهد ولا تكبُّ ولا رهبة ولا استمتعان. قال صلى الله عليه وسلم لكتي أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سُنْتِي فليس مني.

^١ ي، ط: جبلاته. ^٢ ي، ط: وشهواتها.

- ١٠٣ ولِيَأْخُذْ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الرِّياضَةِ بِالتَّدْرِيجِ وَلَا يَشَادُهَا فَيَكُونُ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالْمُبْنَى لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهَرَ أَبْيَقَ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَقَالَ أَكْفَوْا مِنَ الْعَمَلِ مَا لَكُمْ بِهِ طَاقَةٌ . وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ .
- إِذَا حَصَلَتْ لِلْقَلْبِ صَفَةُ الْاسْتِقَامَةِ تَخْلُقُ بِهِ الْقُرْآنَ وَتَأْذِبُ بِآدَابِهِ وَلْقُبْرَاتِ أَهْلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطٌ ﴿لِلَّذِينَ أَعْمَلُوا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنُ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ .
- ١١٣ الْمُجاهِدَةُ الْثَالِثَةُ مُجاهِدَةُ الْكَشْفِ وَالْأَطْلَاعِ وَهِيَ مُحِيطُ الصَّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَتَعْطِيلُ الْقَوَى الْبَدْنِيَّةِ بِالرِّياضَةِ وَالْمُجاهِدَةِ حَتَّى يَحْصُلَ لِلرُّوحِ مَا سَيِّعَ بَعْدَ الْمُوتِ مِنَ الظُّلْمِ أَوْ مَا يَقُربُ مِنْ ذَلِكَ وَتَحْصِيلِهِ بَعْدِ الرِّياضَةِ بِمُواجهَةِ شَطْرِ الْحَقِّ ^١ بِاللَّطِيفَةِ الْبَانِيَّةِ لِيُكَشَّفَ الْجَنَابُ وَتَظَهُرَ أَسْرَارُ الْعَوَالِمِ وَالْعِلُومِ وَاضْحَى لِلْعَيْنِ وَهُوَ الْعِلْمُ الْإِلَهَيُّ الَّذِي قَدَّمَنَا أَنَّهُ يَحْصُلُ بِالْتَصْفِيَّةِ .
- ١٢٣ وَلِهَذِهِ ^٢ الْمُجاهِدَةُ عِنْدَ الْقَوْمِ شُرُوطٌ فَالْأُولَى حَصُولُ التَّقْوِيِّ الَّذِي قَدَّمَنَا شَرْحُ مُجاهِدَتِهِ فَإِنَّهَا رَأْسُ الْعِبَادَةِ وَبِاعْتِهَا أَوْلَى درَجَاتِ النِّعَمِ وَهُوَ الْجَنَابُ . قَالَ الْجُرَيْرِيُّ مِنْ لَمْ يَحْكُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ التَّقْوِيِّ وَالْمَراقبَةِ لَمْ يَصُلْ إِلَى الْكَشْفِ وَالْمَسَاهِدَةِ .
- ١٢٤ الشَّرْطُ الثَّانِي حَصُولُ الْاسْتِقَامَةِ الَّتِي قَدَّمَنَا أَيْضًا شَرْحُ مُجاهِدَتِهِ . قَالَ الْوَاسِطِيُّ الْخَلِصَةُ الَّتِي بِهَا كَمَّتِ الْمَحَاسِنِ وَبِفَقْدَهَا قَبَحَ الْمَحَاسِنِ الْاسْتِقَامَةِ . وَوَجَهَ اشتِرَاطُهَا فِي هَذِهِ الْمُجاهِدَةِ مِنْ جَهَةِ الْمَعْنَى أَنَّ الْقَلْبَ فِي تَصْفِيَّتِهِ وَكَشْفِ جَنَابِهِ وَتَجْلِي الْحَقَائِقِ فِيهِ مَثَالُ الْأَجْسَامِ الصَّفِيقَةِ إِذَا انْطَبَعَتِ فِيهَا الصُّورُ الْمُقَابِلَةُ لَهَا لَكِنَّ انْطَبَاعَ الصُّورِ فِي الْأَجْسَامِ الصَّفِيقَةِ لَيْسَ عَلَى أَيِّ وَجْهٍ اتَّقَى بَلْ إِنَّمَا انْطَبَعَ الصُّورُ انْطَبَاعًا صَحِيحًا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ الْجَسْمُ الصَّفِيقُ عَلَى شَكْلِ الدَّائِرَةِ الَّتِي تَسَاوَى فِيهَا الْخَطُوطُ الْخَارِجَةُ مِنْ مَرْكَزِهَا إِلَى مَحِيطِهَا وَحِينَئِذٍ تَنْطَبَعُ فِيهَا الصُّورُ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهَا وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْجَسْمُ مُسْتَطِيلًا أَوْ مَرْبَعًا أَوْ مَقْعُورًا أَوْ مَحْدُبًا فَلَا تَكَادُ تَنْطَبَعُ عَلَى

١ ي: (وَهِيَ إِحْمَادُ الْقَوَى الْبَشَرِيَّةِ وَخَلْعُ الصَّفَاتِ الْبَدْنِيَّةِ بِنَزْلَةٍ مَا يَقُعُ لِلْبَدْنِ بِالْمُوْتِ ثُمَّ مُحَاذَةُ شَطْرِ الْحَقِّ) . ٢ (ل) أَضَيْفُ لِلْسَّيَّاقِ .

ما هي عليه في نفسها بل تنطبع على حسب ما هو عليه المقابل وتختلف باختلافه فكذلك القلب إذا اتصف بالاستقامة فكانت نسبة الأفعال الصادرة عنه أخذًا وتركًا نسبة واحدة كان بمثابة سطح الدائرة فتتجلى فيه صور الموجودات وحقائق المعلومات على ما هي عليه تجلياً صحيحاً فيكون الإدراك حقيقة العلم تماماً وإن لم يتصف القلب بالاستقامة واختلفت نسبة الأخذ والترك في الأفعال إليه فإن كان مائلاً عن الاستقامة بالنسبة إلى بعضها وبعيداً عن الاستقامة بالنسبة إلى الطرف الآخر كان بمثابة الجسم الصقيل.

المستطيل أو المربع أو المثلث فيكون القبول الصحيح فيه مفقوداً فتتجلى فيه الحقائق على ما هو عليه لا على ما هي عليه فلا يظفر إلا بالتعب.

ولهذا نجد كثيراً من طالبي هذا الكشف يقدّمون عليه قبل التمكّن في الاستقامة ويكون قد سبق إلى قلوبهم شيء من الآراء الفائلة أو لم يسبق فتتجلى لهم الحقائق على ما عندهم أو على خلاف ما هي فيرجعون إلى الإباحة وتعطيل الشرائع والزندقة المحضة أعاذنا الله.

فإذن الاستقامة شرط في هذا الكشف المفضي إلى العلم الإلهي الذي هو تجلّى في القلب على ما هي عليه في نفس الأمر من غير خلل ولا انحراف.

وأما الكشف الذي هو رفع الحجاب عن القلب كيّفما اتّقق فقد يحصل بالتصفيّة عن الأغيار ورقة القلب بالمجوع والسهر من غير شرط استقامة ولهذا يحصل الكشف لكثير من أهل الملل الخالفة وكذلك لأهل السيماء المتراضين في كشف الحجاب لاستزال روحانية الأفلاك والتصرف في عالم الطبيعة بمعونة منها فلا تتجلى لهم حقائق المعلومات على ما هي عليه بل على م^ا هي عندهم فلا يظفرون إلا بالخسران المبين.

الشرط الثالث الاقداء بشيخ سالك قد خبر هذه المُجاهدات وقطع بها طريق الله وارتفع له الحجاب وتجلّت له الأنوار فهو يعرف أحوالها ويُدرج المريض في عقباتها حتى تتح له الرحمة البانية ويحصل له الكشف والاظلاء فإذا ظفر بالشيخ فليقلده

أمره ويهتدي بأقواله وأفعاله ويتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بقائده ويلقي نفسه بين يديه كالميت بين يدي الغاسل ويعلم أنّ نفعه في خطأ سيخه أكثر من نفعه في صواب نفسه.

١٧٠٣ الشرط الرابع قطع العلاقة كلّها عن النفس بالزهد في كل شيء والانفراد عن الخلق بالخلوة في مكان مظلم أو لف الرأس في الجيب أو التذرّع بكساء أو إزار ثم الصمت بترك الكلام جملةً ثم الجوع بمواصلة الصيام ثم السهر بقيام الليل وهذه هي التي كان المطلوب في مجاهدة الاستقامة اعتدالها حتى يصير استواء الفعل والترك فيها عند القلب جبلة طبيعية وأما هنا فيطلب تركها بالكلية وإخمام سائر القوى البشرية وإماتتها حتى الفكر ليكون ميت البدن حي الروح إذ مطلوب هذه المجاهدة فراغ القلب عن كل ما سوى الله حتى كأن البشرية كلّها ذاهبة محظوظة شأن الميت وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم موتوا قبل أن تموتوا.

١٨٠٣ الشرط الخامس صدق الإرادة وهو أن يستولي حب الله على قلب المريد حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له إلهٌ واحدٌ. فإذا حصلت هذه الشروط كلّها فصورة العمل في هذه المجاهدة أن يشغله الشيخ بذلك يلزم قلبه على الدوام ويعنّه من تكثير الأوراد الظاهرة ومن التلاوة بل يقتصر على الفروض والرواتب ويكون ورده ملازمة القلب لذلك الذكر ولا يشغل قلبه بغيره.

قال الشبلي للحريري إن كان يخطر على قلبك من الجمعة إلى الجمعة شيء غير الله فرام عليك تأتيني.

١٩٠٣ ثم يلزمكه الشيخ الخلوة وهي زاوية ينفرد بها عن الخلق ويوكّل به من يقوم له بقدر حلال من القوت فالحلال أصل طريق الدين كلّه ويعين له ذكرًا يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول الله الله الله أو لا إله إلا الله لا إله إلا الله ولا يزال يوازن عليه حتى تسقط حركة اللسان ويبقى تخيلها ثم حتى يسقط أثر تخيلها عن اللسان

وتبعي^١ صورة اللفظ في القلب ثم حتى تحيى صورة اللفظ من القلب ويقى معناه ملازماً حاضراً قد فرغ عن كلّ ما سواه.

و عند ذلك يقع الحذر الشديد من وسوس الشيطان و خواطر الدنيا فيراقبها في ٢٠٣ اللحظات والأفاسيس و يعرض على شيخه كلّ ما يجده في قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو كسل أو صدق في الإرادة و يكتم ذلك عن سواه فالشيخ أعلم بعذاته.

ويجحب أيضاً على الشيخ التحفظ فهو موضع الخطر العظيم فقد يغلب عليه خيال من الخيالات فيشتغل بالبطالة و يسلك طريق الإباحة. ومن تجرد لهذا الذكر لم يخل عن هذه الأخطار وكذلك قد يعرض له العجب بنفسه أو الفرح والقنوع بما ينكشف و يbedo من أوائل الأحوال والكرامات فيكون قوراً في الطريق و قاطعاً بل ينبغي ملازمة عمله عمره كله ملازمة العطشان الذي لا ترويه البخار و رأس ماله الانقطاع والخلوة فإذا سلم من هذه العوائق كلّها و حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة و يجلّ له الحق و عظم الفرج والله و طار به السرور و ظهر من لطائف الله ما لا يحيط به وصف.

وأعظم القواطع بعد رفع الحجاب أن يتكمّل به أو يتصدّى للنصح والتذكرة فتجد ٢١٣ النفس لذلة الرئاسة بالتعليم والاستشهاد بالستة والإصلاح إليه بالقلوب والأساع وتموئه عليه بأنه هادٍ إلى الله أو يفتر عن العمل والإصلاح عليه الذي هو وسيلة إلى هذا التجلي لما يظنّ من الاستغناء عن الوسيلة بحصول المقصود فيضعف التجلي ثم ينقطع وينزل الحجاب فيقع بسبب هذا^٢ القواطع في بحر من الهلاك لا ساحل له. وما عرض له لذلك كله إلا طلب المشاهدة فلو اقتصر على الاستقامة وأخر المشاهدة إلى محلّها وبعد الصدق وهو دار الجراء سلم من هذه الأخطار المهلكة عصمنا الله بفضله.

فهذه بمجاهدات القوم وكانت الأولى كما قدمناه هي المخصوصة باسم التصوف ثم لما دعتهم همّتهم إلى منازل الأبرار و مقامات الصديقين عكفوا على مجاهدة

^١ يقى. ^٢ ي: هذه.

الاستقامة ومن نزع منهم إلى السعادة الكبرى طلب مجاهدة الكشف فغلب استعمالهم اسم التصوف في هاتين المجاهدين. ثم اقتصى التعليم والمفاوضة في المجاهدة الخاصة المنفردة عن الجمهور الآقراء باصطلاح خاص يكون لهم في مفاظاتهم وألفاظ مخصوصة بمعانٍ من طريقهم كالمقام والحال والفناء والبقاء والحو والإثبات والنفس والروح والسر والبواه والهواجم والخاطر والوارد واللوائح واللوامع والطوالع والتلويں والتمكين والفرق والجمع وجمع الجمع والذوق والشرب والغيبة والحضور والصحوة والسكر وعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين والمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاملة والمنازلة والمواصلة وعلم المعاملة وعلم المكاشفة وغير ذلك من مصطلحاتهم الخاصة بهم.

٢٢٣ ولنشر إلى شرح هذه الألفاظ ونقول لما كان معنى المجاهدة كما قررناه أكتساب النفس للصفات المحمودة وتلزُّمها بها صفة بعد صفة ولها ترتيب في تعليم أكتسابها مخصوص بها كالإرادة والتوبية والتقوى والورع والزهد والمجاهدة والقناعة والتوكُّل والخشوع والتواضع والشكري واليقين والصبر والمرأبة والرضا والعبودية والاستقامة والإخلاص والصدق والتوحيد والمعرفة والمحبة والشوق.

٢٤٣ وأول هذه الصفات الإرادة وليس اختيارية كما مرّ والصفة الأخيرة هي الغاية القصوى والقصد الأشرف وهي المعرفة والتجلي والمشاهدة وكانت النفس في أثناء هذه المجاهدات لاكتساب هذه الصفات تطرأً عليها صفات أخرى واردة يتلزَّم القلب بها ليست من كسب المريد ولا من اختياره بل هي من مواهب الله كالسرور والحزن والطرب والاحتياج والشوق والانزعاج والرجاء والخوف والقبض والبسط والهيبة والأنس فسمّوا ما يكون من الصفات بالكسب والاختيار مقاماً مثل التوكُّل والصبر والرضا وسائرها وسمّوا ما يكون منها مواهب من الله خارجة عن الكسب حالاً كالسرور والحزن والرجاء والخوف وأمثالها.

٢٥٣ ثم إنّ الصفات المحمودة لما كانت لا تحصل للقلب إلا بعد ذهاب الصفات المذمومة سمّوا ذهاب المذمومة بالفناء والحو وحصول المحمودة بالإثبات والبقاء ثم

اعتبروا في القلب ثلاث اعتبارات من حيث كونه محل للصفات المذمومة ويخصّونه من هذه الجهة باسم النفس ومن حيث كونه محلاً للصفات المحمودة ويخصّونه باسم الروح ومن حيث كونه محلاً لأنوار المشاهدة والمعرفة ويخصّونه باسم السر. ثم إن القلب قد ينبع من الغيب على سبيل الوهله إما موجب حزن أو سرور فسموها بالبواه والهواجم ثم إن الوارد على الضمير قد يكون نوع خطاب ويسمونه لخاطر وهو من الملك ومن الشيطان ومن النفس وقد يكون لا بخطاب فهو الختص باسم الوارد عندهم.

٢٦٣ ثم عند كمال المواجهة وقطع مقامات السلوك يتقدّم بين يدي رفع الحجاب أنوار توضّي إيماض البروق ولا تدوم يسمونها باللوائح^١ واللواحم والطوالع ثم يكون بعدها رفع الحجاب الذي يسمونه بالملائكة فإن ارتقى إلى أقصى درجاته واتضاحه سميت معرفة ومشاهدة وتجلياً.

٢٧٣ ثم المريد ما دام متّقياً في الأحوال يقولون هو في تلوين فإذا وصل إلى الغاية واستولى على المطلوب قالوا هو في تمكّن وكذلك ما دام يرى الأشياء من الله فهو عندهم في مقام فرق لأنّه يرى الله ويرى الموجودات وإذا رأها بالله فهو في مقام جمّع ثم إذا لم ير إلا الله فهو في مقام جمّع الجمع. ثم تطرأ على المريد بعد تجلّيه أحوال أخرى يعبرون عنها بالذوق والشرب وهي من نتائج التجلي.

ثم المشاهد قد يغيب عن الحس فيكون في غيبة وسکر فإذا تجلّ عنّه غشاء المشاهدة وأفاق فهو في حضور وصحو.

٢٨٠ ثم إن العلم عندهم ما دام برهانياً فهو علم اليقين فإذا انتقل إلى نعت البيان فهو عين اليقين فإذا صار إلى نعت العيان^٢ فهو حق اليقين ويعبرون عن هذه المراتب أيضاً بالمحاضرة والملائكة المشاهدة. وهذه مراتب السالك باعتبار أحوال العلم المذكورة والأولى مراتب العلم في نفسه.

١ بي، ط: لواحٌ؛ ح: لواحة. والتصحيح من الرسالة القشيرية ص ١٤٩. ٢ ط: نعت البيان.

وكذلك يقولون المعاملة والمنازلة والمواصلة يريدون بالمعاملة السلوك والمنازلة رفع الحجاب والكشف وبالمواصلة المعرفة المشاهدة.

٢٩٠٣ ثم إن مقامات المجاهدة المطلوب أكتسابها مثل التوبة والتوكّل والورع والزهد وسائرها يختلف عندهم تقسيرها باختلاف الbaith على المجاهدة من تقوى واستقامة أو عرقان كالتبوية مثلاً فإن توبة المبتدئ مغايرة لتبوية المتهي قال ذو النون توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وتوبة العارفين مما سوى الله وفي الحديث يا أيها الناس توبوا فإني أتوب في اليوم مائة مرة وكذا التوكّل أيضاً فتوكّل المؤمن سكونه إلى وعد الله وتوكّل الخواص أكتفاء بعلم الله وتوكّل العارفين رضا بحکم الله.

وكذلك الورع فروع العوام ترك الشبهات وورع الخواص ترك الحركات وورع العارفين أن لا يدخل قلبه سوى الله.

وكذا الزهد فزهد العوام ترك الحرام وزهد الخواص ترك الفضول من الحلال وزهد العارفين ترك ما يشغل العبد عن الله.

٢٠٠٢ وكذلك التوحيد والشك واليقين والصبر وسائرها تختلف تقسيرها باختلاف الbaith على المجاهدة حسبما استقرأناه من كتبهم ولهم مع ذلك آداب خاصة بهم وسييل لتعليم هذه المجاهدة مقصور عليهم لبعدهم عن الجمهور لا سيما مع فشو المخالفة والخروج عن الاستقامة وكذلك قد يصرح العارف بما يطير له الجمهور إنكاراً وتضيق حواصلهم عن ملقطه فيحتاج إلى بيان يخرج عن التهمة فيه كقول بعضهم إني أقول يا الله يا رب فأجده أثقل علي من الجبل لأن النداء إنما يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسًا ينادي جليسه فلو لا هذا التعليل لكان هذا القول مردوداً وقاتلاته متهمًا.

وكذا قولهم في أحكام الخلوة والتزام الذكر لطالب المشاهدة وأن لا يشغله المريد بالأوراد ولا بالتلاوة بل يقتصر على الفرض وملازمة الذكر لأن التلاوة تشتمل

على الأحكام والقصص فينتشر القلب في فهم معانيها والقصد جمعه بالذكر الواحد لاستجلاء نور المشاهدة من مذكوره.

فلو لا هذا التعليل لكان اشتراط الأوراد والتلاوة منكراً لكنه ترك واجب لأوجب منه وفرض لأعلى رتبة منه في الفرضية باعتبار الباعث على المباهدة.

فاقتضى ذلك كله اصطلاحاً مخصوصاً من شرح الأسماء التي تواضعوا عليها للمفاوضة بينهم وبين ما اختص مجاهديهم من الآداب والأحكام وشرح ما اختلف تفسيره من مقاماتها وكيفية تعليم المباهدة وإيضاح ما تشابه من أقوالهم وإطلاقاتهم فكان ذلك علماً مخصوصاً يسمى علم التصوف.

فقد تحصل أن المباهدة على ثلاث مراتب مجاهدة التقوى وهي رعاية الأدب مع الله في الظاهر والباطن بالوقوف عند حدوده مراقباً أحوال الباطن طالباً التجاه كاماً وأنه التصوف عند الصدر الأول منهم.

ومباهدة الاستقامة وهي تقويم النفس وحملها على الصراط المستقيم حتى تصير لها آداب القرآن والنبوة بالياضنة والتهذيب خلقاً جلية طالباً مراتب ﴿الَّذِينَ أَنْهَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ الشَّيْنِ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّلِحِينَ﴾.

ومباهدة الكشف والاطلاع وهي إخمام القوى البشرية كلها حتى الأفكار متوجهة بكلية تعقله إلى مطالعة الحضرة الربانية طالباً رفع الحجاب ومشاهدة أنوار الربوبية في حياته الدنيا ليكون ذلك وسيلة إلى الفوز بالنظر إلى وجه الله في حياته الأخرى التي هي غاية مراتب السعداء.

فهذه ثلاث مجاهدات يطلق اسم التصوف على مجموعها وعلى كل واحدة منها لكن غلب استعماله في الآخرين دون الأولى وغلب في الأولى اسم الورع وصار علم المباهدة الأولى هو فقه الورع وفقه القلوب والعلم الذي يسمى علم التصوف هو العلم بأحكام المجاهدين الآخرين وأدابهما وكيفية سبileهم وما يطرأ على السالك من العلل وما يفسد سلوكه أو يشيعه نحو غايته وشرح الفاظهم التي اصططوا عليها في مفاوضتهم.

- ٢٥٣ وقد حاول كثيرون من القوم العبرة عن معنى التصوف بلفظ جامع يعطي شرح معناه
فلم يف بذلك قول من أقوالهم فنهم من عبر بأحوال البداية. قال الجُرْيَي التصوف
الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق ذئي وقال القصاب هو أخلاق كريمة
ظهرت في زمن كريم من رجال كريم.
ومنهم من عبر بأحوال النهاية. قال الجنيد هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به.
وقال رُؤيم هو البقاء مع الله على ما يريد لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء. وقال سمنون
هو أن تكون مع الله بلا علاقة.
ومنهم من عبر بعلمه. قال البغدادي عالمة الصوفي الصادق أن يفترق بعد
الغنى ويذلل بعد الغز ويخفى بعد الشهرة وعلامة الكاذب على العكس.
ومنهم من عبر بأصوله ومبانيه. قال رُؤيم التصوف مبني على ثلاث خصال
التمسك بالفقير والافتقار والتحقق بالذل والإيثار وترك التعرض والاختيار.
ومنهم من جعل ذلك الأصل والمبني واحداً. قال الكَانِي التصوف خلق فمن زاد
في الخلق زاد في التصوف. وأمثال هذه العبارات كثير وكل واحد منهم يعبر عمّا وجد
وينطق بحسب مقامه.
- ٢٦٢ والحق أن التصوف لا ينطبق عليه حد واحد وأنه الخلق بمجاهدة الاستقامة
مقتصرًا عليها أو بمجاهدة الكشف ومن شروطها مجاهدة الاستقامة فيتخلىق بهما
معاً ويختلف مخصوصهما وحقيقةهما باختلاف البااعث إذ البااعث في الاستقامة
طلب السعادة بعد الموت من غير تعرّض لكشف الحجاب في حياته الدنيا وباعت
الأخرى هو كشف الحجاب في حياته الدنيا فاختلت وعسر اندراجهما في حد واحد
وقد سمنا كل واحدة منهما برسومها والكل تصوف.
ومن أراد الاطلاع على تفاصيل هذا كله والإحاطة بجميع حقائقه فعليه بكتب
القوم وإنما أشرنا نحن على الجملة إلى ما تميّز به الطريقة عن غيرها «ومَا كُنَّا لِهِنَّتَدِي
لَوْلَا أَنْ هَدَى اللَّهُ». ^{أَنْ}

وإذ يَبْيَّنَ هَذِهِ الْمُجاهدَاتِ وَتَمْيِيزُهَا عَلَى الْجَمَلَةِ وَتَمْيِيزُ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَلَنْدَكَ مُشْرُوِّعِيَّتِهَا
فَأَمَّا الْمُجاهدَةُ الْأُولَى فَهِيَ فَرْضٌ عَيْنٌ عَلَى كُلِّ مَكْلُوفٍ إِذَا الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ
يَتَقَبَّلَ عِذَابَ اللَّهِ بِالْوَقْفِ عَنْ دُحُودِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ 《وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ》 《هُمُ الْكُفَّارُ》 《هُمُ الْفَسِّقُونَ》 .

وَأَمَّا الْمُجاهدَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ مُشْرُوِّعَةٌ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ فَرْضٌ عَيْنٌ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ
صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمَا خَذَهُمْ مِنَ الشَّرِيعَةِ ظَاهِرٌ وَذَلِكَ أَنَّ الشَّارِعَ لَمَّا كَانَ حَرِيصًا
عَلَى النَّجَاهَةِ وَكَانَ فِي الْحُكْمَةِ الشَّرِيعَةِ وَالْعَادِيَةِ أَنَّ دُفَعَ الْمَضَارَ مُقْدَمًا عَلَى جَلْبِ الْمَنَافِعِ
أَهَابَ بِالْكَافَةِ إِلَى الدُخُولِ فِيمَا يَجِدُهُمْ مِنَ الْهَلاَكِ وَيَأْخُذُ بِحِجْرَاتِهِمْ عَنِ النَّارِ وَهَذِهِ هِيَ
الْأَحْكَامُ الْعَامَةُ لِلْمُكَفِّيْنَ . وَبِنَهِ الْخَواصُ بِهِدِيهِ وَطَرِيقِهِ وَفَعْلِ بَيَانِهِ لِلنِّعَمِ وَالشَّقَاءِ عَلَى
تَفَاقُوتِ الْدَرَجَاتِ وَتَبَلِّغُ الْمَنَازِلِ فِي السَّعَادَةِ وَأَنَّ الصَّدِيقِينَ وَالشَّهِيدِينَ وَالصَّالِحِينَ
لَهُمْ سَعَادَةٌ أُخْرَى أَعْلَى مِنَ النَّجَاهَةِ وَطَرِيقِهَا الْاسْتِقَامَةُ 《صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ》 وَأَنَّ أَعْلَى مَرَاتِبِ هَذِهِ السَّعَادَةِ هُوَ الْنَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ .

وَأَمَّا الْمُجاهدَةُ الْثَالِثَةُ وَهِيَ مُجاهدَةُ الْكَشْفِ فَالَّذِي نَرَاهُ أَنَّهَا مُحْظَوْرَةٌ حَظْرٌ
الْكَراْهِيَّةِ أَوْ تَنْزِيدٍ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى 《وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ رَأْفَةً وَرَحْمَةً
وَرَهْبَانِيَّةً أَبْتَدَعُوهَا مَا كَبَّبَنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَغَاهُمْ رَضْوَنَ اللَّهُ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا
فَأَتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِّقُونَ》 وَهَذِهِ الْمُجاهدَةُ رَهْبَانِيَّةٌ
إِذْ تَفَسِّيرُ الرَّهْبَانِيَّةِ عِنْدَ أَهْلِ الْأَثْرِ أَنَّهَا رَفْضُ النِّسَاءِ وَالْخَادِمَ الصَّوَاعِمِ . ثُمَّ بَيْنَ تَعَالَى
أَنَّ هَذِهِ الرَّهْبَانِيَّةِ لَمْ يَكُنْهَا عَلَيْهِمْ وَإِنَّمَا قَصَدُوا بِهَا ابْتِغَاءِ رَضْوَانِ اللَّهِ ثُمَّ لَمْ يَرْعُوهَا
حَقَّ رِعَايَتِهَا فَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ 《وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِّقُونَ》 نَعِيَا عَلَيْهِمْ وَذَمَّا لَهُمْ
فِي ارْتِكَابِ الرَّهْبَانِيَّةِ وَدُمْ تَوْفِيقَهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا . قَالَ الْقَاضِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَطِيَّةَ
وَفِي هَذَا التَّأْوِيلِ لِزُومِ الْإِتَّمَامِ لِكُلِّ مَنْ بَدَا بِتَطْبُعٍ وَنَفْلٍ وَأَنَّهُ يَلْزَمُهُ أَنْ يَرْعَاهُ حَقَّ
رِعَايَتِهِ . اِنْتَهَى .

وَانْظُرْ قَوْلَهُ تَعَالَى 《حَقَّ رِعَايَتِهَا》 . تَجَدُّ صَعُوبَةُ الْتَزَامِ هَذِهِ الْمُجاهدَةِ لِصَعُوبَةِ
رِعَايَتِهَا فَقَدْ تَخَلَّفَ الرَّعَايَةُ لِمَا يَعْرِضُ فِي هَذِهِ الْمُجاهدَةِ مِنَ الْأَوْحَالِ الْخَارِجَةِ عَنْ

الاختيار كما قدمناه في شرحها في حق الفسق والكفر.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أصوم وأفطر وأنام وأصلي وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني . ولما بلغه قسم عبد الله بن عمرو على صيام النهار وقيام الليل نهاء عن ذلك وقال صم من كل شهر ثلاثة قال يا رسول الله إني أطيق أكثر من ذلك قال فصيام داود وهو أفضل الصيام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وكان يقوم نصف الليل وينام ثلثة ويقوم سدسه . وردة صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل وقال صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا عليكم ... وشيء من الدلجة وقالت عائشة إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نظر أنه لا يفطر ويفطر حتى نظر أنه لا يصوم . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال وقال إني لست كهيتكم إني أبیت يطعمني ربي ويسقيني .

ومعنى أنه الأطلاع على العالم الروحاني ومشاهدة حضرة الربوبية لما كانت للأنباء فطرة فطروا عليها وخلقأً امتازوا به وكانت العصمة المشيعة قلوبهم نحوه مرکوزة في جلتهم جعل الله لهم سلوك ذلك الطريق هداية وإلهاماً يهتدون إليها بقتضي فطرتهم وخلقهم الأول فلا يستصعب عليهم طريقها ولا تخفي عنهم مسالكها كما لا يستصعب على الصبي طريق الثدي ولا على التخل بناء بيته المسدس **﴿أَعْطِيٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾** . فالله تعالى يتولى إطعامه وسقيه بما شاء من إمداده .

وأما حال المسكين الذي ليست هذه المشاهدة من فطرته ولا من جلته والعوائق عنها مكتفية به فهو يرتقي بالتلتفت إلى شيء من هذا الكشف وطلبه ولو كان دون مراتب الأنبياء صلوات الله عليهم مرتقى صعباً وخطراً عظيماً هذا مع ما فيه من المهالك والعوائق التي يجب الحذر منها باجتنابه كما قدمنا ذكره .

١: عمر . ٢: في الأصل ياض للإشارة إلى متن الحديث؛ والمحدث بكله: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعنوا بالغدوة والروحه وشيء من الدلجة) .

الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوف إليه والرد عليهم في ذلك

- اعلم أنَّ مُجاهدة المُكاشفة^١ كـا قدمناه مشتملة على المُجاهدين الآخرين بـمُجاهدة الاستقامة وـمُجاهدة القوى إذ هي مشروطة بهما فصارت حينئذ مشتملة على مُجاهدة وـرياضة ثمَّ على مـكاشفة وـمشاهدة فلا جرم أنَّ هذا العلم ينقسم إلى نوعين علم بأحكام المـجاهدات والـرياضة وـشروطها ويـسـيـعـيـ عـلـمـ الـعـاـمـلـةـ وـعـلـمـ بـرـفـعـ الـحـجـابـ وـأـحـوالـ ما بـعـدـهـ وـيـسـيـعـيـ عـلـمـ الـمـكـاـشـفـةـ وـعـلـمـ الـبـاطـنـ .
- وـتـحـقـيقـهـ أـنـ القـلـبـ عـنـدـ تـطـهـيرـهـ وـتـرـكـتـهـ منـ صـفـاتـهـ المـذـمـومـةـ ثـمـ إـخـمـادـ القـوىـ الـبـشـرـىـةـ وـمـحـاـذـةـ جـانـبـ الـحـقـ بـهـ كـاـ قدـمنـاهـ يـرـقـعـ عـنـهـ الـحـجـابـ وـيـجـلـ فـيـهـ النـورـ الـإـلـهـىـ فـتـكـشـفـ لـهـ بـذـلـكـ أـسـرـاـ الـوـجـودـ عـلـوـهـ وـسـفـلـهـ وـمـلـكـوتـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـتـضـعـمـ لـهـ مـعـانـيـ الـعـلـمـ وـالـصـنـائـعـ وـتـخـلـ جـمـيعـ الشـكـوكـ وـالـشـبـهـ وـيـظـلـعـ عـلـىـ ضـمـائـ الرـقـبـوـنـ وـأـسـرـاـ الـوـجـودـ وـتـكـشـفـ لـهـ مـعـانـيـ الـمـشـبـهـاتـ الـوـارـدـةـ فـيـ الشـرـعـ حـتـىـ تـحـصـلـ لـهـ الـمـرـفـعـ بـحـقـائـقـ الـوـجـودـ كـلـهـ عـلـىـ مـاـ هـيـ عـلـيـهـ مـنـ ذـاتـ اللـهـ وـصـفـاتـهـ وـأـفـالـهـ وـأـحـكـامـهـ وـقـضـائـهـ وـقـدرـهـ وـعـرـشـ وـكـرـسـيـ وـالـلـوـحـ وـالـقـلـمـ وـالـحـكـمـةـ فـيـ خـلـقـ الـدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ وـوـجـهـ تـرـتـيبـ الـآخـرـةـ عـلـىـ الـدـنـيـاـ وـمـعـرـفـةـ بـعـنـيـ النـبـوـةـ وـالـوـحـىـ وـلـيـلـةـ الـقـدـرـ وـالـمـعـرـاجـ وـمـعـرـفـةـ الـمـلـائـكـةـ وـالـشـيـاطـينـ وـعـدـاؤـ الشـيـاطـينـ لـلـإـنـسـ وـلـقـاءـ الـمـلـائـكـةـ لـلـأـنـبـيـاءـ وـظـهـورـهـمـ وـوـصـولـ الـوـحـىـ إـلـىـ الـنـبـيـ وـكـرـامـةـ الـوـلـيـ وـطـرـيـقـ الـمـجـاهـدـةـ وـتـرـكـةـ الـقـلـبـ وـتـطـهـيرـهـ وـمـعـنـيـ الـقـلـبـ وـالـرـوحـ وـمـعـرـفـةـ الـآخـرـةـ وـأـحـوالـ الـقـيـامـةـ مـنـ الـصـرـاطـ وـالـمـيزـانـ وـالـحـسـابـ وـالـحـوـضـ وـالـشـفـاعـةـ وـعـذـابـ الـقـبـرـ وـالـجـنـةـ وـالـنـارـ وـالـعـذـابـ وـالـنـعـيمـ وـمـعـنـيـ لـقـاءـ اللـهـ وـالـنـظرـ إـلـيـهـ .

١: الكشف.

الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوف إلى والرَّأْيِ عَلَيْهِمْ في ذلك
والقرب منه وقربه إلى العبد وجميع ما كان يسمع من الأسماء ويتوهم لها معانٍ مبهمة
غير متنبحة.

٢٤ فعلم المكافحة أن يرتفع الغطاء حتى تُنْهَى جلية الحق في هذه الأمور كلها اتصاصاً
يمحصل به اليقين الذي يجري بجرى العيان من غير فت^١ ولا أكتساب وهذا ممكناً
في حق هذه اللطيفة الربانية كما قدمناه وإنما جبها عن ذلك ما تلوثت به من توأم
البدن وصفات البشرية.

٤٤ وعلم المعاملة هو علم طريق الآخرة هو العلم بكيفية تطهير القلب من الخبائث
والكدرات بالكف عن الشهوات وإخماد القوى البشرية بقطع جميع العلائق البدنية
والاقداء بالأنبياء صلوات الله عليهم في جميع أحوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب
ويحاذى به شطر الحق تلاؤ^٢ فيه حقائقه وهذه هي الرياضة والمجاهدات التي
قدمنا ذكرها.

٥٤ فاما علم المعاملة فهو على صفين لأن مطلوب السالك إن كان التجاه فقط ولم يترقب
بهمته إلى الأعلى منها فهذا يكفيه الورع وبمحادة القلب على مقتضى الوقوف عند
حدود الله في أعماله الباطنة والظاهرة وهذا هو فقه الباطن الذي ذكرنا أنه كان يسمى
تصوفاً في الأول قبل ترقى الهمم إلى مجاهدة الكشف وكتاب هذه الطريقة المشهور
فيها هو كتاب الرعاية للحارث بن أسد المحاسبي رضي الله عنه.

٦٤ وإن ترقى المريد بهمته إلى طلب السعادة الكبرى والفوز بالدرجات وتحصيل
وسائلها التي هي الاستقامة أو كشف الحجاب في حياته الدنيا فلا بد له من معرفة
اصطلاحات القوم وأدابهم وأحكامهم وكيفية مجاهدتهم وسبل^٣ تعليمهم ومراتب
المجاهدات والمقامات وكيف تختلف المجاهدة الواحدة باختلاف المقامات والأخذ
بأقوالهم في ذلك كله والتقييد للاقداء بهم وهذا هو الذي غلب فيه اسم التصوف
وكتاب هذه الطريقة رسالة الأستاذ أبي القاسم القشيري وفي المتأخرین كتاب
عوارف المعارف للسُّهُروردی.

١: تعلم. ٢: تلاؤ. ٣: سهل.

- ولما كانت مجاهدة الكشف مشروطة بمجاهدة الاستقامة وبمجاهدة القوى احتاج
٧٤ طالب الكشف إلى أحكام المجاهدات كلها فجعل الغزالي كتاب الإحياء مستناداً على
الطريقتين طريقة الورع وفقه الباطن الذي تضمنه كتاب الرعاية وطريقة الاستقامة
وبمجاهدة الكشف الذي تضمنه كتاب الرسالة.
- وأثنا علم المكاشفة الذي هو ثمرة المجاهدات و نتيجتها فلم يكن سبيلاً إلى الخوض
٨٤ فيه وقد حذر القوم رضي الله عنهم من إيداعه الكتب أو الكلام في شيء منه إلا
ما يدور بينهم في المفاوضات على سبيل الرمز والإيماء تمثيلاً وإجمالاً ولا يكشفون
لغيرهم شيئاً من معانيه علماً بتصور الأفهام عن احتماله ووقفاً مع حدود الشريعة في
ترك الأخذ بما لا يعني وأدباً مع الله في صون أسرار الربوبية وإن صدر عن أحد منهم
كلمة من ذلك على سبيل الندور سمه شطحاً بمعنى أن حال الفنية والسكراستولت
عليه حتى تكلم بما ليس له الكلام به كما نقل عن أبي يزيد في قوله سجاني ما أعظم شأني
وقوله جزت بحرًا وقف الأنبياء بساحله وقول رابعة لو وضعت خماري على النار^١ ما
يقي بها أحد وأمثال ذلك.
- ٩٤ وأعلم أن الخوض في هذا الفن من الأقوال محظوظ من وجوه.
أولها أن العبارة عن تلك المدارك والمعاني المنكشفة من عالم الملكوت متعدزة لا
بل مفقودة لأن الفاظ التخاطب في كل لغة من اللغات إنما وضعت لمعان متعارفة
من محسوس أو متخيل أو معقول تعرفه الكافة إذ اللغات توافرها واصطلاح فلا
توضع إلا للمعروف المتعاهد فاما ما ينفرد بإدراكه الواحد في الأعصار والأجيال
فلم يوضع له ولا يصح أيضاً التجوز بهذه الألفاظ إلى تلك المعاني حتى يقال يعبر
عنها بهذه الألفاظ على طريق المجاز إذ التجوز إنما يكون بعد مراعاة معنى مشترك
أو نسبة ولا نسبة بوجه بين عالم الملكوت وعالم الملك ولا بين عالم الغيب وعالم
الشهادة فإذا ذكر العبرة عن أحوال عالم الملكوت متعدزة أو مفقودة فكيف يتكلم

١ لم ترد (على النار) في بي.

الكلام فيما نقل المتأخرُونَ اسم التصوّفِ إِلَيْهِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ

بما لا يفهم فضلاً عن أن يودع الكتاب وإن صاروا إلى ضرب الأمثال والقنو
بالإجمال فسبيل مبهم.

وَثَانِيَهَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هُمْ أَهْلُ الْمَكَاشَفَةِ وَالْمَشَاهِدَةِ بِالْأَصْلِ إِذْ
هُنَّ لَهُمْ جَلَّهُ وَطَبِيعَةُ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَحَصُّلُ لِغَيْرِهِمْ مِنْ وَلِيٍّ أَوْ صَدِيقٍ إِنَّمَا تَقْعُدُ بِتَكْلِيفٍ
وَالْكَسَابِ وَظَلَاعِهِمْ عَلَىٰ أَحْوَالِ الْمَلَكُوتِ أَكْلُ مِنْ اطْلَاعِ الْعَارِفِ وَالْوَلِيِّ بِلَ لا
نَسْبَةُ بَيْنِهِمَا وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى التَّعْيِيرِ عَنْ ذَلِكَ يَمْدُدُ اللَّهُ إِيَّاهُمْ بِمُورَهِ وَمَعَ هَذَا
فَمَمْ يَنْقُلُ ذَلِكَ.

١١٤ وقد سُئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّوحِ فَقَالَ ﴿ قُلِ الْرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيٍّ وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قِيلًا﴾ وَقَدْ جَعَلَ عَلَمَاءُ الْيَهُودَ الَّذِينَ سَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ مِنْ عَلَمَةٍ بُوْتَهُ وَصَدَقَ مَدْعَاهُ . أَنْ لَا يَجِدُونَ ذَلِكَ .

وَإِنَّمَا دُعَا^١ الْأَنْبِيَاءَ الْكَافَةَ إِلَى النَّجَاهَةِ فَنَبَهُوا^٢ عَلَى تَفَاوْتِ الْمَدْرَجَاتِ وَأَوْمَأُوا إِلَى شَيْءٍ
مِّنْ أَحْوَالِ عَالَمِ الْمُلْكُوتِ دَعَتِ الْفُضْرَوْرَةُ إِلَيْهِ فِي عَقَائِدِ الْإِيمَانِ مِنْ أَمْوَالِ الصَّفَاتِ
وَأَحْوَالِ الْقِيَامَةِ تَعِينَ حَمْلَ بَعْضِهَا عَلَى الظَّاهِرِ فِي عَالَمِ الْمَلَكِ كَأَحْوَالِ الْقِيَامَةِ وَعَدَ
بَعْضُهَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ كَمَا فِي كَثِيرٍ مِّنَ الصَّفَاتِ وَقَدْ عَدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءَ كُلَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ
فَمَا ظَنَّكَ بِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ لَا يَطْمَعُ فِي مَدَارِكَهُمْ وَلَا يَرِدُ عَلَى حَوْضِهِمْ وَلَمْ تَدْعُهُمْ ضَرُورَةً
التَّبْلِيقُ إِلَى النَّطْقِ بِهِ.

وَاثِنُهَا أَنَّ الْعُلُومَ وَالْمَعَارِفَ بِحِسْبِ نَظَرِ الشَّرِيعَةِ تَقْسِمُ إِلَىٰ مُحَظَّرٍ وَغَيْرِ مُحَظَّرٍ^٧
وَالْقَاعِدَةُ الْمُسْتَقْرَأَةُ مِنَ الشَّرِيعَةِ أَنَّ كُلَّ مَا لَا يَهُمُ الْمَكْفُوفُ فِي مَعَاشِهِ وَلَا فِي دِينِهِ
فَهُوَ مَأْمُورٌ بِتَرْكِهِ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَسْنِ إِسْلَامِ الرَّءُوفِ كَمَا لَا يَعْنِيهِ.
قِيلَ هَذَا الْحَدِيثُ ثَلَثُ الدِّينِ فَإِنَّ الْمَكْفُوفَ فِي دِينِهِ أَوْ مَعَاشِهِ فَغَيْرُ مُحَظَّرٍ وَرَبِّا
تَنْهِيَ الْأَهْمَيَّةُ فِيهِ إِلَى الْوَجُوبِ.

- ١ (إلى تلك المعاني حتى يقال يعبر عنها بهذه الألفاظ) (ولما بين عالي الغيب والشهادة فإذاً العبارة عن أحوال عالم الملوك) لم ترد في ي. ٢ ي: اطلاع النبي على. ٣ ي: فقال (فُلْ لَرُوْحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي). ٤ ع: دعوا. ٥ ي: ونهوا.
- ٦ هنا تبدأ سقوفه من ع. وما أنتهاته فهاباً من ي. ٧ (غير محظوظ) أضفت للسياق وأثبتتها من ط.

ومن هذا العلم بفرض الأعيان إذ هو أهتم بحسب الدين وما لا يهم المكلف في دينه ولا معاشه تجده محظوراً وتأمل قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الْرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ وَمَا أُوتِيْشَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ رائحة الإنكار الدال على الحظر وكذلك قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوْقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ معناه أنَّ الذي يهمكم من أمر الأهلة كونها معلم للحاج وهذا من أمور الدين أو معلم للناس في مارعهم ومتاجرهم وهذا من أمور المعاش وما سوى ذلك فلا حاجة لكم به ثم عقبه بذكر ما هو أهتم وهو النهي عمَّا كان بعض الحاج يفعلون في إحرامهم من هجر أبواب البيوت في الدخول وإتيانها من ظهورها ففي تعميقه بهذا الحكم بعد الإضراب عن مقصود السؤال تنبية وإيماء على حظر الشارع لذلك وطلب تركه من المكلفين .

ثم إنَّ قوماً من المتصوفة المتأخرین عنوا بعلوم المكافحة وعكفوا على الكلام فيها وصيروها من قبيل العلوم والاصطلاحات وسلكوا فيها تعليماً خاصاً وربوا الموجودات على ما انكشف لهم ترتيباً خاصاً يدعون فيه الوجдан والمشاهدة وربما رعم بعضهم في ذلك غير ما زعمه الآخرون فتعددت المذاهب واختلفت الخل والأهواء وتباينت الطرق والمسالك وتحيزت الطوائف وصار اسم التصوف مختصاً بعلوم المكافحة والبحث على طريقة العلوم الاصطلاحية الكسبية عن أسرار الملكوت والإيانة عن حقائق الوجود والوقوف على حكمته وأسراره ثم يفسرون المتشابه من الشريعة كالروح والملك والوحى والعرش والكرسي وأمثالها بما لا يصح أو يكاد وربما يتضمن أقوالاً منكرة ومذاهب مبتدعة ككلمات الباطنية في حمل كثير من آيات القرآن المعلومة الأسباب على معنى باطن ويضربون بحسب التأويل على وجهها السافرة وحقائقها الواضحة كقولهم في آدم وحواء إنَّهما النفس والطبيعة وقولهم في ذبح البقرة إنَّها النفس وقولهم في أصحاب الكهف إنَّهم الخالدون إلى أرض الشهوات وأمثال ذلك فتسكن قلوب كثير من أهل الضلال إلى ذلك استخلاء لتحصيل الغايات في البدایات واغتناماً للزينة المخضضة خالصة من المتابعب فإذا طالبهم الإنكار بتحقيق

الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوّف إلى والرّأي عليهم في ذلك

دعوا بهم لجئوا إلى الوجدان الذي لا يتعدي دليله ولا يتضمّن على الغير برهانه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾.

١٥٤ فلقد كان لهم سعة في تقليد السلف منهم في النهي عن الخوض في ذلك وإذا كانت كلماتهم وتقاسيرهم لا تفارق الإبهام والاستغلاق فما الفائدة فيها فالرجوع إذن إلى تصريح كلامات الشعّر وأقوابه معانيها من التفاسير المعضدة بالآخر ولو كانت لا تخلص من الإبهام أولى من إبهامهم الذي لا يستند إلى برهان عقل ولا قضية شرع.

١٦٤ والذي يجمع مذاهبهم على اختلافها وتشتّب طرقها رأيان الرأي الأول رأي أصحاب التجلي والمظاهر والأسماء والحضرات وهو رأي غريب فيلسوف الشارة ومن أشهر المتصدّين به ابن الفارض وابن برّجان وابن قسيي والبوبي والخطيبي وابن سودكين. وحاصله في ترتيب صدور^٣ الموجودات عن الواجب الحق أنّ آنية الموقعي الوحدة وأنّ الوحدة نشأت عنها الأحادية والواحدية وما اعتباران للوحدة لأنّها إن أخذت من حيث اعتبار الكثرة والحقائق غير المتناهية فهي الواحدية ونسبة الواحدية إلى الأحادية نسبة الظاهر إلى الباطن والشهادة إلى الغيب فهي مظهر للأحادية بمنزلة المظاهر للمتجلي ثم تلك الوحدة الجامعية التي هي عين الذات وعین قولها لاعتبارين أعني اعتبار الباطن وتوحّده عن الكثرة واعتبار الظاهر وتكتّره فهي بين البطون والظاهر كالمحدث في نفسه مع نفسه.

١٧٤ ثم أول مرتب الظهور ظهوره لنفسه وأول متعلق الظهور الكمال الأسمائي للحديث مع نفسه وأول التجليات تجلي الذات الأقدس على نفسه وينقلون في هذا حديث^٤ نبويًا يجعلونه أصل خلتهم وهو كرتاً مخفياً فأحببت أن أعرف خلقتُ الخلق ليعرفوني. والله أعلم بصحّته مع أنه لا يشهد ولو صحّ بتفاصيل هذا المذهب ولا يقوم له بدليل واضح.

١ هنا تنتهي الفجوة. ٢ طع: قوسي، والتصحيح من. ٣ ي: صور.

١٨٤ ثمْ تضمنَ هذا الجلَّ عندهم الكمال وهو إفاضة الإيجاد والظهور وليس هو من حيث الأحادية التي هي سلب الكثرة بل من حيث الوحدانية التي هي الظاهر وتقسم إلى كمال وحداني١ وكامل أسمائي لأنَّ تلك الكثرة إنْ اعتبرت من حيث حصولها جميعاً في دفعه واحدة وعيناً واحدة في شهود الحق فهو الكمال الوحداني٢ وإنْ اعتبرت من حيث التفصيل في الحقائق والاعتبارات والتنزل في الوجود وأنَّها البرزخ الجامع لتلك الأفادات المنفصلة فهو الكمال الأسمائي المنزل تفصيله في الحقائق.

١٩٤ وهذه عندهم هي عالم المعاني والحضرات العماية وهي الحقيقة المحمدية ومن أعيان كُثرتها حقيقة القلم واللوح ثمَّ حقيقة الطبيعة ثمَّ حقيقة الجسم إلى آدم حقيقةً وجوداً وتشتمل الحضرة العماية عندهم من حيث اعتبار الكثرة والتفصيل على الحقائق السبعة الأسمائية التي هي الصفات وأسمائها وأوعبها حقيقة الحياة ثمَّ على حقائق الأنبياء والرسل والكُلُّ من المحدثين الذين هم الأقطاب وعلى حقائق الأبدال السبعة وهي كلُّها تفصيل الحقيقة المحمدية.

٢٠٤ ثمَّ تقعَّد من الحقائق التي هي الأصول والمناشئ حقائق أخرى وتجليات ومظاهر للذات الأحادية وترتبط على أنواع من الترتيب حتى تنتهي إلى عالم الحسن والشهادة وهو عالم الفتن يسمونها عوالم وحضرات ومجالٍ للحقائق المنسوبة إلى الحق تارة وإلى الكون آخرى.

وأول حضرة وليت الحضرة العماية عندهم هي الحضرة الهمبائية وتسمى مرتبة المثال ثمَّ العرش ثمَّ الكرسي ثمَّ الأفلاك على ترتيبها ثمَّ عالم العناصر ثمَّ عالم التركيب إلى آخره وغايته وما دامت هذه كلُّها منسوبة إلى الحق وفي اعتبار الذات البرزخية الجامعية على تفاصيلها وتواتي ربها فهي في عالم الرتق فإذا سُبِّت٤ إلى الكون وتجلت في مظاهره فهي في عالم الفتن إلى تفصيل كثير وعبارات مهممة واصطلاح شارد.

١: وجداي. ٢: لأنَّ كثرة تلك الكثرة. ٣: وجداي. ٤: ع: نسب.

الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوف إليه والردة عليهم في ذلك

٢١،٤ حاصله إذا خلص وهذب واتضاع لفهم موضوعه ومسائله أنه ترتيب للوجود قریب من ترتيب الفلاسفة شبيه بآرائهم المكتسبة وعلومهم من غير برهان يشهد له ولا دليل يقوّم عليه.

٢٢،٤ الرأي الثاني رأي أصحاب الوحدة وهو رأي أغرب من الأول في مفهومه وتعقله ومن أشهر القائلين به ابن دهاق وإن سبعين والششتري وأصحابهم وحاصله بعد إغام النظر والخوض فيما خاض فيه غيرهم في الواحد وما صدر عن الواحد أن الباري جل وعلا هو مجموع ما ظهر وما بطن ولا شيء خلاف ذلك وأن تعدد هذه الحقيقة المطلقة الآية الجامعة التي هي عين كل آنية والهوية التي هي عين كل هوية إنما وقع بالأوهام من الزمان والمكان والخلاف والعنيفة والظهور والألام واللذة والوجود والعدم. قالوا وهذه كلها إذا حققت إنما هي أوهام راجعة إلى إخبار الضمير وليس في الخارج شيء منه فإذا أسقطت^١ الأوهام صار مجموع العالم بإسره وما فيه واحداً وذلك الواحد هو الحق والعبد مؤلف من طرف حق وباطل فإذا أُسقط الباطل وهو اللازم بالأوهام لم يق إلّا الحق.

٢٣،٤ وارتکبوا في الشريعة ومتشابها مركبات غريبة وينفرد عندهم بسر الوجود المكتوم من بلغ درجة العارفين وهم أهل التحقيق والتحقيق يطلقونه على هذا العلم وأن الأنبياء والعلماء والأولياء علموا وخصوصاً به من رأوه أهلاً له.

والدرجات عندهم أولها الصوفي للتجريد ثم المحقق لمعرفة الوجود ثم المقرب وهو الذي اجترأ من عين عينه على الآخر وزعم عبد الحق في بعض كتبه أن هذا الرأي محدث بقوله وهذا الذي زيد أن نسبته عليه هو مما لم يُسمّ في عصر ولا قيل إنه ظهر في دهر ولا مما دون أو علم في فلالة ولا مصرا ثم قال وأكذب بقوله وهو مأخذ من كلام الله ورسوله.

٢٤،٤ ثم نشأ عن الخوض في علم المكافحة عند أهل هذا الرأي من الكمال الأسمائي الذي كانت مظاهره أرواح الأفلاك والكوكب وإن طبائع الحروف وأسرارها سارية في

١: أسقطتها.

الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوف إليه والردة عليهم في ذلك

الأسماء والألوان من لدن الإبداع الأول تنتقل في أطواره وتعرب عن أسراره فحدث لذلك علم أسرار الحروف وهو علم لا يوقف على موضوعه ولا تختلط بالعدد مسائله تعددت فيه تواليف البوبي وابن العربي وغيرهما من اتبع آثارهما.

وحاصله عندهم تصرف النقوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف الحبيطة بالأسرار السارية في الألوان ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحرف ما هو فنهم من جعله المزاج^١ الذي فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف كـالعناصر واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف في طبيعتها فعلاً وفعلاً بذلك الصنف فتوعدت الحروف بقائون صناعي يسمونه التكسير إلى نارية وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر فالآلف للنار والباء للهواء والجيم للماء والدال للتراب ثم كذلك على التوالي من الحروف والعناصر إلى أن تبعد فيعین^٢ لعنصر النار حروف سبعة الآلف والهاء والطاء والميم والفاء والسين والدال ويعين لعنصر الهوى سبعة أيضاً الباء والواو والياء والنون والصاد والتاء والظاء. ويعين لعنصر الماء سبعة أيضاً الجيم والزاي والكاف والصاد والقاف والثاء والغين. ويعين لعنصر التراب سبعة أيضاً الدال والراء واللام والعين والراء والخاء والشين.

٢٦٤

نارية	هوائية	مائية	ترابية
أ	ب	ج	د
ه	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	ص	ع
ف	ض	ق	ر
س	ت	ث	خ
ذ	ظ	غ	ش

١: المزاج. ٢: فيعین.

الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوف إليه والزهاد عليهم في ذلك

- ٢٧،٤ فالحروف النارية لدفع الأمراض الباردة ولضاغطة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها إما حسًّا أو حكًّا كما في تضييف قوى المرض في الحروب والقتل والفتاك والمائمة أيضًا لدفع الأمراض الحارة من حميات وغيرها وتضييف القوى الباردة حيث تطلب مضاعفتها حسًّا أو حكًّا كتضييف قوة القمر وأمثال ذلك.
- ٢٨،٤ ومنهم من جعل سر التصرف الذي في الحرف للنسبة العددية فإن حروف أبجد دالة على أعدادها المتعارفة وضعاً وطبعاً فينبئها من أجل تناسب الأعداد تناسب في نفسها أيضًا كما بين الباء والكاف والراء لدلائلها كلها على الاثنين في مرتبته فالباء على الاثنين في مرتبة الآحاد والكاف على اثنين في مرتبة العشرات والراء على اثنين في مرتبة المئين وكذلك الذي بينها أيضاً وبين الدال والميم والباء لدلائلها كلها على الأربعة وبين الأربعة والاثنين نسبة الضعف وخرج للأسماء أوقاف كالأعداد يختص كل صنف من الحروف بصنف من الأوقاف الذي يناسبه من حيث عدد الشكل أو عدد الحروف وامتزج التصرف من السر الحرفي والسر العددي لأجل التناسب العددي الذي بينها.
- ٢٩،٤ فاما سر هذا التناسب الذي بين الحروف وأمزجة الطبائع أو بين الحروف والأعداد فأمر عسير على الفهم إذ ليس من قبل العلوم والقياسات وإنما مستنده عندهم الذوق والكشف. قال البوطي ولا تظن أن سر الحروف ما يتوصل إليه بالقياس العقلي وإنما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهي.
- ٣٠،٤ وأما التصرف في عالم الطبيعة بهذه الحروف والأسماء المركبة منها وتأثير الأكون عن ذلك فأمر لا ينكث به عن كثير منهم تواتراً وقد يُظْنَ أن تصرف هؤلاء وتصريف أصحاب الطسلمات واحد وليس كذلك فإن حقيقة الطسلم وتأثيره على ما حققه أهله أنه قوى روحانية من جوهر القهر يفعل فيما له ركب فعل غلبة وقهقر بأسرار فلكية ونسب عددية وبخورات جالية لروحانية ذلك الطسلم مشدودة فيه بالهمة فائدتهاربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية.

الكلام فيما نقل المتأثرون اسم التصوف إليه والردة عليهم في ذلك

وهو عندهم كالميرة المركبة من أرضية و هوائية ومائية و نارية حاصلة في جملتها تخييل و تصرف ما حصلت فيه إلى ذاتها و تقبله إلى صورتها .
وكذلك الإ Kisir للأجسام المعدنية يحيطها إلى نفسه كالميرة ما حصلت فيه إلى نفسها ولذلك يقولون موضوع الكيماء جسد في جسد لأنّ أجزاء الإ Kisir الذي هو موضوع العمل والصنعة كلّها جسدانية ويقولون موضوع الطلسم روح في جسد لأنّه ربّ الطبائع العلوية بالطبائع السفلية والطبائع السفلية جسدانية^١ والطبائع العلوية روحانية .

٢١٤ وتحقيق الفرق بين تصرف أهل الطسمات وأهل الأسماء بعد أن تعلم أنّ التصرف في عالم الطبيعة كلّها إنما هو للنفس الإنسانية والهمم البشرية لأنّ النفس الإنسانية محيطة بالطبيعة وحاكمة عليها بالذات .

إلا أنّ تصرف أهل الطسمات إنما هو في استنزال روحانية الأفلاك وربطها بالصور أو بالنسبة العددية حتى يحصل من ذلك نوع مراج يفعل الإحالة والقلب بطبيعته فعل الميرة فيما حصلت فيه و تصرف أصحاب الأسماء إنما هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف من النور الإلهي والإمداد الرباني فيسخر الطبيعة لذلك طائفة غير مستعصية ولا يحتاج إلى مدد من القوى الفلكية ولا غيرها لأنّ مدده أعلى منها .

ويحتاج أهل الطسمات إلى قليل من الرياضة تقييد النفس قة على استنزال روحانية الأفلاك وأهون بها وجهة^٢ ورياضة بخلاف أهل الأسماء فإنّ رياضتهم هي الرياضة الكبرى وليس لقصد التصرف في الأكون إذ هو حجاب وإنما التصرف حاصل لهم بالعرض كرامة من كرامات الله بهم .

٢٢٤ فإن خلا صاحب الأسماء عن معرفة أسرار^٣ الله وحقائق الملكوت الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف واقتصر على مناسبات الأسماء وطبائع الحروف والكلمات و تصرف بها من هذه الحقيقة وهو لاء هم أهل السيء في المشهور كان إذن لا فرق

١ ع: جسد . ٢ ي: أسماء .

الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوف إليه والردة عليهم في ذلك

بينه وبين صاحب الطسّمات بل صاحب الطسّمات أوثق منه لأنّه يرجع إلى أصول طبيعية عالمية وقوانين مترتبة.

وأمّا صاحب أسرار الأسماء إذا فاته الكشف الذي يطلع به على حقائق الكلمات وأثار المناسبات وليس له في العلوم الاصطلاحية قانون برهاني يعول عليه فيكون حاله أضعف رتبة.

٣٣٤ وقد يرجح صاحب الأسماء قوى الكلمات والأسماء بقوى الكواكب فيعين لذكه من الأسماء الحسنى أو ما يرسم من أوقافها بل ولسائر الأسماء أوقاتاً تكون من حظوظ الكوكب الذي يناسب ذلك الاسم كما فعله البوّي في الأنماط.

وهذه المناسبة عندهم هي من لدن الحضرة العمايّة وهي بربخية الكمال الأسمائى وإنما تنزل تفصيلها في الحقائق على ما هي عليه من المناسبة وإثبات هذه المناسبة عندهم بحكم المشاهدة التي تقدم الكلام فيها فإذا خلا صاحب الأسماء عن تلك المشاهدة وتلقى تلك المناسبة تقليداً كان عمله بمثابة عمل صاحب الطسم بل هو أوثق منه كما قلناه.

وكذلك قد يرجح أيضاً صاحب الطسّمات عمله وقوى كواكبه بقوى الدعوات المؤلفة من الكلمات المخصوصة لمناسبة بين الكلمات والكواكب إلا أنّ مناسبة الكلمات عندهم ليس كما هي عند أصحاب الأسماء من أهل المشاهدة وإنما يرجع إلى ما اقتضته أصول طريقتهم السحرية من اقسام الكواكب جميع ما في عالم المكونات من جواهر وأعراض وذوات ومعانٍ والحرف والأسماء من جملة ما فيه فلكل واحد من الكواكب قسم منها يخصّه ويتنون على ذلك مبني غريبة منكرة من تقسيم سور القرآن وأيه على هذا فهو كما فعله مسلمة الجريطي في غايتها.

٣٤٤ والظاهر من حال البوّي في أنماطه أنه اعتبر طريقتهم فإنّ تلك الأنماط إذا تصفت بها وتصفت الدعوات تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة ثم وقت على الغاية وتصفت قيمات الكواكب التي فيها شهد لك ذلك إنما بأنه من مادتها أو بأنّ

١: (الكواكب السبعة ثم التي فيها شهد).

الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوّف إلى والرّأي عليهم في ذلك

التناسب الذي كان في أصل الإبداع وبرزخ العلم قضى بذلك كله ﴿وَمَا أُوتِيْتُم مَنَّ الْعِلْمَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وليس كل ما حرمـهـ الشـرعـ منـ العـلـومـ بـمـنـكـرـ الـثـبـوتـ فقدـ ثـبـتـ أنـ السـحـرـ حـقـ معـ خـطـرـ لـكـ حـسـبـنـاـ منـ العـلـمـ ماـ عـلـمـنـاهـ الشـرعـ.

٢٥٤ ثم إن تواليف هؤلاء المتصوّفة الخائضين في علوم المكافحة تعددت وطالـ فيهاـ النـوـضـ وـتـعـدـرـ الـبـيـانـ وـعـكـفـ كـثـيرـ مـنـ أـهـلـ الـبـطـالـةـ عـلـىـ تـصـفـهـاـ وـوـقـفـ بـهـمـ العـزـ والـكـسـلـ الـذـيـ تـعـوذـ مـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـنـدـهـ يـظـنـونـ أـنـ السـعـادـ بـعـرـفـةـ أـسـارـ الـمـلـكـوـتـ فـيـ طـيـ صـفـتـهـاـ وـهـيـهـاتـ لـذـكـ.ـ وـمـاـ أـوـقـعـ فـيـ هـذـاـ الـخـبـاطـ كـلـهـ إـلـاـ أـسـوـجـ فـيـ عـلـومـ الـمـكـافـحـةـ الـذـيـ حـقـهـ عـنـدـأـمـةـ الـقـوـمـ أـنـ لـاـ يـخـاضـ فـيـ وـأـنـ سـرـ اللـهـ فـلـاـ يـفـشـيـهـ عـارـفـ.

٢٦٤ ولـقـدـ قـتـلـ الحـسـينـ بـنـ مـنـصـورـ بـفـتـوىـ أـهـلـ الشـرـيـعـةـ وـأـهـلـ الـحـقـيـقـةـ وـقـصـارـ اـعـتـدـارـ مـنـ يـحـسـنـ الـظـنـ بـهـ مـنـهـ أـهـلـ سـكـرـفـاجـ بـالـسـرـ فـوـجـتـ عـقوـبـهـ إـلـاـ فـالـأـغـلـبـ فـيـ حـقـهـ التـكـيـرـ.

ولـقـدـ نـقـلـ عـنـهـ صـاحـبـ كـابـ الـغاـيـةـ عـمـلـاـ مـنـ الـأـعـمـالـ السـحـرـيـةـ لـاـ يـعـمـدـهـ مـسـلـمـ فـكـيـفـ عـارـفـ.

فـإـذـنـ الـخـوـضـ فـيـ عـلـمـ الـمـكـافـحـةـ وـالـكـلـفـ بـمـوـضـعـاتـهـ وـمـقـالـاتـ أـهـلـهـ ضـربـ مـنـ الـبـطـالـةـ لـأـنـ الـطـالـبـ لـذـكـ إـنـ كـانـ نـفـسـهـ مـرـقـيـةـ بـهـمـتـهـ إـلـىـ الـمـعـرـفـةـ مـتـطـلـعـةـ إـلـىـ فـهـمـ أـسـارـ الـمـلـكـوـتـ فـعـلـيـهـ بـالـجـاهـدـةـ وـالـسـلـوكـ فـهـمـاـ يـفـضـيـانـ بـهـ إـلـىـ ذـكـ وـلـيـسـ لـهـ سـبـيلـ إـلـىـ الـمـعـرـفـةـ وـالـعـلـمـ بـأـحـوـالـ الـمـلـكـوـتـ مـنـ الـأـلـفـاظـ وـالـأـصـطـلـاحـاتـ وـمـسـطـرـاتـ الدـوـاـينـ إـذـلـاـ دـلـلـةـ لـلـأـلـفـاظـ عـلـيـهـ لـعـدـمـ الـوـضـعـ وـعـدـمـ الـمـنـاسـبـةـ لـلـجـوـزـ كـاـمـرـ.

٢٧٤ وـإـنـ كـانـ نـفـسـهـ مـتـكـاسـلـةـ عـنـ ذـكـ مـنـخـطـةـ إـلـىـ حـضـيـضـ التـقـلـيدـ فـالـهـ وـكـلـمـاتـ يـوـدـيـهـ الـخـوـضـ فـيـهـ إـلـىـ عـلـمـ أـشـبـهـ بـعـلـوـمـ الـفـلـاسـفـةـ بـلـ عـلـوـمـ الـفـلـاسـفـةـ تـرـجـعـ إـلـىـ تـخـيـلـ بـرـهـانـ بـنـظـمـ أـقـيـسـةـ وـتـرـتـيـبـ أـدـلـةـ بـخـلـافـ أـقـوـالـ هـؤـلـاءـ فـإـنـ الـبـرـهـانـ الصـنـاعـيـ مـفـقـودـ

١ يـ:ـ مـنـصـورـ الـحـاجـ.

الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوّف إلى والرّأي عليهم في ذلك

والوجدان مخصوصاً فلم يبق إلا القبول بمجرد حسن الظنّ بهم ^وكيف يحسن الظنّ بهم وكثير من ظواهر أقوالهم مخالف لظاهر الشريعة ولا يحسن ظنّ من خالف الشّرع في قول ولا عمل.

وذكر لأبي يزيد رجل وصف له بالعرفان وطلب زيارته فلما أشرف عليه رأه في المسجد وهو يتخفّى فرجع عن زيارته وقال من لا يؤمن على أدب من آداب الشريعة كيف يؤمن على أسرار الله.

فإذا كان الشّرع نهى هؤلاء عن الموضع في علوم المكافحة وهم لا ينتهون فكيف يوثق بهم في أسرار الله وتتلقى منهم بحسن القبول.

هذا لو خلصت عبارتهم من الإبهام فكيف وهي ملتبسة ببدعة أو كفر أعادنا الله.

فليس هذا الذي سموه تصوّفًا بتصوّف ولا مشروع الفهد والله أعلم.

١ ي: (وابايات الأنفاظ عن مقاصدهم).

الكلام في اشتراط الشیخ المعلم في المجاهدة
وفي أي المجاهدات يجب وفي أيها يتأكد
وفي أيها لا يجب ووجه ذلك

- اعلم أنه تقرر من جميع ما قدمناه أن التصوف كله راجع إلى مجاهدة وسلوك
يفضيان بـلـوغ الغاية فيهما إلى كشف ومشاهدة^١ يحصل فيهما العلم بالله وصفاته
وأفعاله وأسرار ملـكه وسائر ما قدمناه وتقرر أن هذا العلم المـحاصل من المشاهدة
والكشف لا ينبغي أن يـودع الكتب وينـتـأـخـرـينـ منـ المـتصـوـفـةـ فيـ تـسـمـيـتـهـ
تصـوـفـًاـ وـجـعـلـهـ عـلـمـًاـ مـدـرـنـاـ وـاعـتـقـادـهـ أـنـهـ يـسـتـفـادـ منـ الدـفـاتـرـ والـكـتـبـ إـنـماـ هـوـ نـورـ
يـقـذـفـهـ اللـهـ فـيـ الـقـلـبـ الـمـرـكـزـ بـالـمـجاـهـدـةـ الـحـادـىـ بـهـ شـطـرـ الـحـقـ^٢ـ فـإـذـاـ اـطـلـعـ بـهـ عـلـىـ سـرـ إـلـهـيـ
أـوـ حـكـمـةـ رـبـيـةـ أـوـ اـتـضـعـ لـهـ مـبـهمـ مـنـ مـخـاطـبـاتـ الشـرـعـ وـمـتـشـابـهـ الـكـتـبـ وـالـسـنـةـ فـلـاـ
يـعـتـدـ بـهـ وـيـقـفـ عـنـدـهـ فـإـنـ الـاعـتـدـادـ بـهـ حـجـابـ قـاطـعـ بـلـ يـسـمـرـ عـلـىـ سـيـرـهـ إـلـىـ اللـهـ وـلـاـ
يـخـلـقـهـ مـعـ ذـلـكـ بـالـإـفـشـاءـ فـسـرـ اللـهـ أـحـقـ بـالـصـونـ .
- ثم إنـاـ يـبـيـأـ اـخـتـلـافـ الـمـجاـهـدـاتـ بـاـخـتـلـافـ الـبـوـاعـثـ وـأـنـ الـبـاـعـثـ إـنـ كـانـ طـلـبـ
الـنـجـاحـ قـطـ فـهـيـ مجـاهـدـةـ التـقـوىـ وـالـورـعـ وـإـنـ كـانـ طـلـبـ الـفـوزـ بـالـسـعـادـةـ وـالـدـرـجـاتـ
الـعـلـىـ فـيـ الدـارـ الـآـخـرـ فـهـيـ مجـاهـدـةـ الـاسـتـقـاماـةـ وـإـنـ كـانـ الـبـاـعـثـ طـلـبـ الـمـعـرـفـةـ بـرـغـعـ
الـلـجـابـ وـالـمـشاـهـدـةـ فـيـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ فـهـيـ مجـاهـدـةـ الـكـشـفـ وـذـكـرـناـ أـنـ التـصـوـفـ يـطـلـقـ
عـلـىـ الـمـجاـهـدـاتـ الـثـلـاثـ إـلـاـ أـنـهـ غـلـبـ فـيـ الـأـخـيـرـتـيـنـ اـسـتـعـمـالـهـ وـاـخـتـصـ بـهـمـاـ عـلـمـهـ عـنـدـ
شـيـوخـ الرـسـالـةـ وـمـنـ اـقـتـقـ أـثـرـهـمـ وـإـنـ عـلـمـ التـصـوـفـ هوـ عـلـمـ بـشـروـطـ هـاتـيـنـ الـمـجاـهـدـتـيـنـ
وـأـحـکـامـهـماـ وـآـدـابـهـماـ وـمـصـطـلـاتـ أـهـلـهـماـ وـقـدـ أـشـارـ الـأـسـتـاذـ أـبـوـ القـاسـمـ الـقـشـيرـيـ
إـلـىـ الـمـغـاـيـرـةـ بـيـنـ مجـاهـدـةـ الـكـشـفـ وـمجـاهـدـةـ الـاسـتـقـاماـةـ بـمـغـايـرـةـ الـبـوـاعـثـ قـالـ:ـ فـالـمـرـيدـ

١: مجاهدة. ٢: أبـيـتـاـ (الـحـقـ)ـ مـنـ يـ .

الذی لہ إيمان بهم إن كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقاصدهم فهو يساهمهم فيما خصوا به من مکاشفات الغیب ولا يحتاج إلى التضليل على من هو خارج عن هذه الطائفة وإن كان مريداً طریقة الاتّباع^١ وليس بمستقلّ بحاله ويريد أن يعرّج في أوطان التقليد إلى أن يصل إلى التحقیق فليقلّد سلفه وليجرّ على طریقة هذه الطائفة فإنّهم أولى به من غيرهم. انتهى كلامه.

٢٥ ثم أعلم أنّ افتقار هذه المواجهات إلى الشیخ المعلم والمربی الناصح ليس على سبيل واحدة بل هو في بعضها أکل وأولى وفي بعضها أحق وأکد وفي بعضها أوجب حتى إنّه لا يمكن بدونه فلنفصل ذلك ونینه.

٤٥ أمّا مواجهة التقوی التي هي بالورع فلا يضطرّ فيها إلى الشیخ إنما يکون فيها معرفة أحكام الله وحدوده أخذت من كتاب أو لقنت من معلم أو تدورست من أستاذ وذلك لما يبيّنا أنّ هذه المواجهة فرض عین على المکلف فكيف يضيع فرض العين الواجب على الفور ویمهل^٢ حق التکلیف لانتظار الشیخ الذي لا مزيد عنده على ما أودعه العلّماء بطون کتبهم وصفحات توایفهم ناقلين ذلك عن الكتاب والسنّة معلّنين بالماخذ والأصول.

٥٥ نعم يکون لصاحب هذه المواجهة کامل بالاقتداء بشیخ معلم يبيّن له الحق في صور الأفعال لقناً بالعيان وهو من شروط الكمال في كلّ تعلم لأنّ مستنده الحسن فإنّ العلم بأحكام الله وحدوده علم بكيفية عمل والعلم بكيفية العمل تارة يستند إلى التقليل والخبر وتارة يستند إلى الحسن وللعينة واستناده إلى الحسن أکل.

٦٥ ولهذا ثبت في الصحيح في تلقين النبي صلی الله عليه وسلم كيفية الصلاة إن جبريل نزل فصلّى فصلّى رسول الله صلی الله عليه وسلم ثم صلّى فصلّى رسول الله صلی الله عليه وسلم ثم صلّى فصلّى رسول الله صلی الله عليه وسلم ثم صلّى فصلّى خمساً. فلقنها عيّاناً استیفاء^٣ لرتب الكمال حيث تعینت.

١ في الرسالة القشیریة: (إن كان يريد طریقة الاتّباع). ٢ ی: یهمل. ٣ ی: استیعاً.

وقد كان صلٰى الله عليه وسلم إذا وفد العرب وطلبوه علم^۱ الشرائع لم يقتصر بهم في الأكثُر على الإخبار بل كان يبعث بكار الصحابة ل مباشرة تعلیمهم بمعاينة صور الأفعال ليقظن مثالها.

وإن وجد الاقتصار على الإخبار كما في حديث وقد ربيعة آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع وأنه قال آخرًا احفظوهن ولغوهن من وراءكم، إلا أنه قليل وبعث الصحابة للتعليم كان أكثر.

وكذلك نجد تعلیم فرائض العین لأبناء المسلمين كالصلة والوضوء بمعاينة الفعل أبلغ من تعليمها بالإبارة والقول حتى إن مناسك الحج ينتصب تعليمها في الموسم أيام أداء الفريضة خلق كثير من مرء على تعلّمها وتعليمها فتجد الفقيه المستاجر في حفظ فروع كتاب الحج يسكن إليهم في تعلم أداء فرضه أكثر من سكونه إلى محفوظه فيأتهم بهم ويأخذ أعيان المناسك عنهم وما ذلك كله إلا لأن ثوق النفس بالحسن أبلغ من وثيقها بالخبر فهو شرط كمال لا شرط صحة ووجوب.

وأما مواجهة الاستقامة التي هي التخلق بالقرآن وبخلق الأنبياء فتحتاجة بعض الشيء^۲ إلى الشیع المعلم لسر الأطلاع على خلق النفس وخفاء تلوّنات القلب وصعوبة علاجها ومعاناتها مع أنها ليست بفرض عین في حق المكففين فإذا ذكر طلب الشیع في حق صاحب هذه المواجهة والاقداء فيها بسالكها المطلع على عللها ولا ينتهي ذلك إلى حد الوجوب والاضطرار إذ مأخذها كلها من الكتاب والستة والاصطلاحات المتعارفة والختي منها في مجاري التعلم والسلوك وإن كان كثيراً إلا أنه غير خارج عن الاختيار والمعارف الكسبية فهو مع الاعتصام بالستة آمن^۳ من مخاوفها مستدركاً في كل وقت فاتها مميز بالتحاطب والتفاوض وتصفح أقوال العلماء، أعيانها وأحكامها.

وأما مواجهة الكشف والمشاهدة التي مطلوبها رفع المخاب والإطلاع على العالم الروحاني وملكت السموات والأرض فإنها مفقرة إلى المعلم المربى وهو الذي يعبر

^۱ ي: تعلیم. ^۲ لم ترد (بعض الشيء) في ط, ح. ^۳ ي: مأمون.

عنه بالشیخ افتخار وجوب واضطرار لا يسع غيره ولا يمكن في الغالب حصولها دونه لوجوه.

الأول أن هذه المواجهة وإن كان أصلها من الكتاب والسنّة إلا أنها من التفاصير ١٠٥ الحديثة والرهبانية المبتدةة كاً قدمناه وكأن طريقة الشرع طريق عام للمكفيين في حصول النجاة أو السعادة بعد الموت وهذه المواجهة طريق خاص لأهل الهمم في تحصيل بذر السعادة الكبرى قبل الموت بنوع من الكشف الحالى بالموت فكانها بمنزلة شرعة خاصة لها أحكام وأداب لا يقلد فيها غير من شرعها وسن طريقها وكفهم مطبقون على اشتراط الشیخ في هذا الطريق مخدرون من الاستقلال بسلوكه والفرد في بيته ويوجبون على السالك إلقاء زمامه بيد شیخ قد سلك الطريق وأفضى به إلى المقصود من المشاهدة وعرف غوايائل السلوك ومكامن العلل وموضع الأخطار وقاطع الأعداء برأي العيان لا بشاهد الخبر فيكون بين يديه كالمىت بين يدي الغاسل والأعمى الماز على شاطئ البحر في يد قائده فكيف تعدل عن شرط القوم في طريق لم تلقه إلا منهم ولا عرفوا مشروعيته وكيفيته إلا عنهم.

الثاني أن صاحب هذه المواجهة هو متعرض بطلبـه كـا قدمنا لـحـصول صـفتـين ١١٥ إـحدـاهـما من كـسبـه واختـيـارـه والـآخـرـى خـارـجـة عن قـدرـته واختـيـارـه ولـيـسـ من كـسبـه وهو ما يـعرضـ للـسـالـكـ من الأـحوالـ قبلـ الكـشـفـ وـمـعـهـ وبـعـدهـ.

قال الأستاذ أبو القاسم: إن الذي خص به العبد أفعال وأخلاق وأحوال فالأفعال تصرفاته باختياره والأخلاق جبلة فيه ولكن تتغير بمعالجتها على مستمر العادة والأحوال تردد على وجه الابداء وصفاؤها بقدر زكاء الأعمال. انتهى كلامه.

ثم إن الأحوال الخارجية عن الاختيار هي ثمرات الصفات المكتسبة التي هي الأعمال وناشرة عنها وبعضها هي مرتبة على بعض حتى تنتهي إلى المشاهدة ثم إنها خفية وغير متجاهلة وقدر ما يتطرق لواحد منها من الفساد يتطرق لما بعده لأن كل حال منها تبني على ما قبلها من الأحوال ومعنى الفساد في الأحوال حصول

١: طريقة الشريعة؛ ط: طريقة الشريعة. ٢: زيدت (وهو التصنفية عن الحلق الذميم والتزكية بالحلق الحميد)

أضدادها وفي ذلك هلاك السالك أعاذنا الله وليس مما يمكن تلافيه أو إصلاحه إذ هو خارج عن الاختيار فإذا حصل وترتبت عليه الأحوال التي بعده فاسدة أيضاً لفساده بعد أمد الفساد وتضاعف قدره واتسع نطاقه ولم يكن في الاختيار إرزاله إلا باستئناف سلوك آخر يراجع به الصفات التي من كسبه ويعرض بها رحمة الله في محوما عقد في القلب من فاسد الأحوال الناشئة.

١٣٥ وقد يتعدّر استئناف السلوك بفوائد الحال الذي هو القلب بما عساه يكون عقد فيه من الأحوال الفاسدة الموجبة للزندقة والإباحة ورفض الشريعة وما ينشأ عن ذلك من الفتور والكسل فيفقد الداعي والبائع فتتعذر المداوات.
ويفوت التلافي ويقول ﴿يَلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ وقد فات المليت.

إذا كان السالك نصب عين الشیخ وبمرأى منه وتحمیص لأعماله وسلوكه والشیخ قد سلك وعلم فاسد الأحوال من صالحها وعما ينشأ صالحها وفاسدها وكيف ينشأ وما يكون منها واصلاً وما يكون قاطعاً وكيف تترتب الأحوال غير المقدورة على الأعمال المقدورة ومقدار النكاء في الأعمال الذي يكون عنها صفاء الأحوال ما هو وقد خبر ذلك كله بالإبتلاء والتخبية والمران ولم يقلد فيه الكتب والأخبار استقام السلوك وأمنت الخاوف وذهب الغر.

١٤٥ ومثل السالك في محاولة ذلك مثل الصياغ يحاول صبغة من حمرة أو صفرة أو خضرة فليس تنزيل الصبغ من قدرته ولا اختياره وإنما الذي في قدرته غnis الثوب في الماء المرزوج بأصباغ مخصوصة أو معدني أو نباتي على نسب ومقادير مقدرة فيستعد الثوب بذلك للحلول الصبغة التي يقتربها فلا بد من العلم العارف بمقادير الأجزاء وكمية بعضها من بعض ومدة المراج بالطبع أو التخيير وكيفية الفمس وزمه ويرى ذلك عياناً لمعلمه وإلا فيما أداه إلى حلول صبغة أخرى غير التي كانت في اقتراحه ويمشي عليه استئناف صبغ آخر لفوارات الحال باستحکام الصبغة الأولى المانعة من ذلك.

١ (غير) ليست في يـ. ٢ يـ: عنه. ٣ يـ: كسبـ.

- ١٥.٥ فكذلك السالك إذ هو يروم تلوّن القلب بصبغة خاصة من المعرفة المؤذنة بالسعادة فإن استحکمت صبغة أخرى فات الحال عن استدراك الإصلاح والشيخ المربى هو الذي يريه كيفية استنزال تلك الصبغة وأجزاءها ومقاديرها ونسبها وزمنها لا بد منه ولا تتصور دونه إذ لا يتصور حلول الصبغة جرأً ولا يقدم عليها بالقياس فإذا روعي ذلك في الثوب الرفيع ضمانة به على الخطر فكيف بالقلب مع خطر الشقاء السرمد أعادنا الله .
- ١٦.٥ الثالث أن حقيقة هذا السلوك أنه موت صناعي فإنه كما قدمنا إخمام القوى البشرية كلها حتى يكون السالك ميت البدن حي الروح فكان السالك يحاول تحصيل موت صناعي يماثل الموت الطبيعي ليحصل له المطلع الذي يحصل بالموت الطبيعي أو أقرب الحالات منه وأشباهها وإن لم يكن بعينه حرضاً على حصول المطلع قبل فوات البدن وفي تحصيل هذا الموت تقع الرياضة وقد ذكرنا مستندهم في هذه الرياضة وهو قوله صلى الله عليه وسلم موتوا قبل أن تموتو . وكل تعليم صناعي يساوic به أمر طبيعي فلا يستقل بدركه إنسان ولا بد في تعالمه من المعلم المرشد إلى خفيات أسبابه لخفاء أسباب الطبيعة وتعذر الاطلاع عليها في الأثير فإذا كان معلم قد حدق في هذا التعليم حصلت الإفادة وأتيحت الرياضة وإلا فلا شأن الصنائع كلها .
- ١٧.٥ الرابع وهو أين دلالة في هذا الغرض أن المعاني التي يتناولها هذا السلوك ويعق فيها القائمون نوعاً .

نوع من قبيل المتعارف عند الأفكار من المدارك الحسوسية أو المعقولة فتضبهه القوانين وتستقل بإفادته الكتب والعبارات وهو صورة السلوك الحسوسية من قطع العلاقة عن النفس والتزام الخلوة والذكر على الهيئة المخصوصة والاقتصار على الفروض والروابط بعد تحصيل مواجهة القوى ومجاهدة الاستقامة .

١٨.٥ نوع آخر ليس من قبيل المتعارف عند الأذهان ولا في التصورات وليس من مدارك الحسن والعقل والعلوم الكسبية بل هي أمور ذوقية وجاذبية يجدها الإنسان

١ ط: المعاني التي يبني لها هذا السلوك .

في نفسه ولا يقدر أن يصورها لغيره إلا بضرب مثال أو تجوز بعيد فلا يمكن ضبطها بالقوانين العلمية ولا بالعبارات الاصطلاحية ولا دخولها تحت الأبواب والمصطلح الصناعية وهي ما يعرض للسلوك في سلوكه من طوارئ العلل والأحوال والواردات والإلقاءات والواحد الغريب المدارك البعيدة عن **المثل المحسوسة**^١ وسائر ما يعتوره منها من ابتداء سلوكه إلى انتهائه وخوضه بحر المعرفة والتوحيد.

١٩٥ وهذا النوع هو نكبة السلوك وسره وحقيقة التي لا يتم شيء منه دونها فما لم يتصور السالك هذه المعاني الذوقية^٢ ويميز بعضها عن بعض ويفرق بين ما يكون منها شيئاً نحو مطلوبه مما يكون عائقاً عنه كان عمله مجاناً ولم يتم له مطلوب لا ابتداء ولا انتهاء وليس الكتاب مما تقيد ذلك بوجه ولا العبارة مما تحصله في الذهن فلا بد من الشيخ الذي ميز بذوقه أعيانها وفرق بين صارها ونافعها يشير إلى أعيانها إشارة الأبن إلى أعيان الحسوسات ولا يقدر على العبارة عنها وهذه الإشارة إلى الأعيان أبلغ من الإفادة بالعبارات ولهذا لا تجد هذه الأمور ملخصة في كتاب ولا مقررة في ديوان من بين معاني التصوف إلا ما يقع من ذلك إشارة أو في حكاية لا تكشف عبارتها عن وجه المقصود.

٢٠٠ قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: وهذه الطائفة يستعملون الفاظاً فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم بعضهم مع بعض والستر على من باينهم في طريقتهم لتكون معاني الفاظ لهم مستبهمة على الآجانب غيره منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها إذ ليست حقائقهم مجموعة ب نوع تكلف أو بمحلوة بضربي تصرف بل هي معانٍ أودعها الله في قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم. انتهى كلامه.

١ (الغريبة المدارك البعيدة عن المثل المحسوسة) لم ترد في يـ. ٢ (الذوقـ) لم ترد في يـ.

الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما وال الصحيح من أدلةهما

- ١٦ وإذ فرغنا مما وجب تقديميه بين يدي الكلام على تلك المناظرة وحققنا طريق المتصوفة وأنواعها وبينما في أيها يفتقر إلى الشيخ فلنأت الآن بما وعدنا به من الفصل بين المتناظرين فقد انكشف الغطاء عن الفصل بينهما بما قدمناه من هذه المقدمات ولننقل كلامهما نصاً ثم نحيل على كلّ فصل من هذه الفصول المقدمة بين يدي الكلام.
- ٢٦ قال مشرط^١ الشيخ للذين نفوا اشتراطه وادعوا التعويل على الكتب وشيوخ الفتيا دون شيخ التجريد فقال لهم لم اعتمد على الكتب وتركم الاعتماد على شيخ الطريقة والقوم إنما اعتمدوا على الشيوخ وتركوا الكتب.
- ٣٦ فقالوا أصل السلوك إنما هو بالكتاب والسنّة وما نشأ عنهما وهذا هي بأيدينا مسطورة وناقلوها منتصبون لتعليمها وشيوخ هذه الطريقة من جملتهم هما الذي يمنع من السلوك دونهم.
- ٤٦ فقال لهم إن كان مجرد النقل كافياً في حصول هذا المقصود أو غيره على الجملة فليستوا في جميع العلوم والصناعات من حفظ وصفها ولم يعانها مع من عانها بالفعل ودخل فيها حالاً واتصافاً لكن هذا لا يكون مما توهّمتم أنه يحصل بمجرد النقل لا يكون.
- ٥٦ قلت قد تقدّم بيان أنواع المجاهدات وأنّ مواجهة الكشف هي التي يشترط فيها الشيخ المربّي لغريتها^٢ وعظيم الخطر فيها وخروج أحوالها وثراتها عن كسب السالك

^١ ي: مشرطاً. ^٢ ي: لغريتها.

وقدرته واختيارة أنها طريق خاصٌ مغاير لطريق الشرع العام. وأنت تعلم أنها محدثة وأنها لم تكن على عهد السلف الأول فلم يعلم منها ^١ بِيَان لـكَيفية سلوكها ومن الخلوة والذكر ولا إللام بـثُرتها من تجلي الأنوار وكشف الحجاب بل ربما بـيَانـ الكثيـرـ من كلامـها وأحكـامـهاـ فيـ الـظـاهـرـ لـمـقـتضـىـ الشـرـعـ لـوـلـاـ حـسـنـ التـأـوـيلـ منـ أـهـلـهـ إـنـماـ هيـ طـرـيقـ عـثـرـ عـلـيـهـ أـوـلـيـاءـ اللهـ وـخـاصـتـهـ فـيـ اـنـفـرـادـهـ وـقطـعـ الـعـلـاقـتـ عـنـ قـلـوبـهـمـ فـيـنـوـاـ كـيـفـيـةـ سـلـوكـهاـ وـأـضـحـواـ مـعـارـجـهاـ حـرـصـاـ عـلـىـ إـيـصالـ الـخـيـرـ وـالـسـعـادـةـ لـمـنـ رـقـتـ الـهـمـةـ إـلـيـهـاـ وـالـقـسـوـاـ مـشـرـوـعـيـتـهاـ مـنـ الـكـاتـبـ وـالـسـنـةـ عـلـىـ مـضـايـقـةـ مـنـ أـهـلـ الـفـتـيـاـ وـحـمـلـةـ الشـرـيعـةـ فـيـ ذـلـكـ كـاـمـاـ قـدـمـنـاهـ.

٦٦ وأما مجاهدة التقوى فهي جادة الشرع ومضمار النجاة كما أن مجاهدة الكشف جادة التصوف ومعراج المطلع الذي هو بذر السعادة العظمى والدرجات العلي وأما مجاهدة الاستقامة فهي جادة القرآن والنبوة وكل المجاهدين واضحة المأخذ والبيان من الشرع وناقلوها المتتصبون لتعليمها كثير.

٧٦ قول النافين إن مأخذ التصوف ومنشأه من الكتاب والسنة وإنها مسطورة بأيدينا وناقلوها متتصبون لتعليمها وإن شيوخ الطريقة من جملتهم. إن أرادوا به المجاهدين اللذين هما جادتان للشريعة والقرآن وهي مجاهدة التقوى ومجاهدة الاستقامة فـصـحـيـحـ وـلـيـسـتـ بـمـفـقـرـتـيـنـ إـلـىـ الشـيـخـ كـاـمـاـ قـدـمـنـاهـ ذـلـكـ قـبـلـ وـإـنـ أـرـادـوـ بـهـ مجـاهـدـةـ الـكـشـفـ الـتـيـ هيـ جـادـةـ التـصـوـفـ فـمـنـوـعـ.

وإن أدعى أن شيئاً منها مسطور فعلى سبيل الإجمال والخلفاء لعدم الوضع فيها أو في شيء من معانيها إذ هي خارجة عن المتعارف المعهود وكل ما يدعيه أهلها من الأحوال والواردات فمن هذا القبيل فلا بد من العيان المصدق للخبر الرافع للاحتلال المولهم عند تعدد ^٢ الحقيقة اللغظية بـتـعـدـرـ الـوـضـعـ وـلـاـ يـوـضـعـ ذـلـكـ كـلـهـ وـيـيـزـ المـدـرـكـاتـ العـيـانـيـةـ فـيـ إـلـاـ السـالـكـ الـجـرـبـ مـعـ مـاـ فـيـهـ مـنـ الغـرـرـ الـذـيـ لـاـ يـؤـمـنـ عـنـ الـفـرـدـ وـقـلـيـدـ الـخـبـرـ كـاـمـاـ قـدـمـنـاهـ.

١: كيفية بـيـانـ كـيـفـيـةـ . ٢: يـتـعـدـرـ .

- ٨٦ وقول النافين إن شيخ الطريقة من جملتهم مردود لأن شيخ الطريقة شيخ تربية وارتباط دلالة على أحوال معاينة خارجة عن الاختيار ليست من قبل المحسوسات ولا العلوم المتعارفة وشيخ الفتيا وحملة الشريعة شيخ نقل وإبانة أخبار عن كيفية عمل داخل تحت القدرة.
- وكثيرين المقامين اللهم إلا أن يكونوا من جملتهم في وجوب الحق لهم وتعظيمهم وابتاع هداهم ف صحيح وفي قصة عمر مع أوس وشيبان الراعي مع الشافعي والمحاسبي مع ابن حنبل وأمثالها أصل لذلك كير رضي الله عنهم أجمعين.
- ٩٦ وأما استدلال المشترط للشيخ بأنه لو أكتفى السالك بالنقل دون المعلم للزم التساوي في جميع العلوم والصناعات بين من حفظ وصفها ولم يعانيها وبين من عانها ودخل فيها حالاً واتصافاً فضعيف إذ للنافين منع هذا اللزوم مع أن التفاوت بين من عانى التعليم وبين من لم يعانيه هو الحق ولا يلزم منه الاقتران إلى الشيخ بل يحصل لمن عانى التعليم من الشيخ رتبة من التعليم ويحصل لمن لم يعانيه من الشيخ وأكتفى في معاناته بالنقل رتبة دون الأول.
- ١٠٦ والحق أنه لا بد للسالك من الشيخ ولا يفضي به القول وحده إلى مطلوبه لا من أجل التفاوت بين التحصيلين كما ذكر بل من أجل أن مدارك هذه الطريقة ليست من قبل المتعارف من العلوم الكسبية والصناعات وإنما هي مدارك وجدانية إلهامية خارجة عن الاختيار في الغالب ناشئة عن الأعمال على هيئات مخصوصة فلا يدرك تمييزها بالمعارف الكسبية بل تحتاج إلى الشيخ الذي يميزها بالعيان والشفاه ويعلم هيئات الأعمال التي تنشأ عنها وخصوصيات أحوالها.
- ١١٦ فقالوا طريقة التصوف إنما عمدتها العمل والتجدد للخدمة فهي مفقودة إلى تصويرة فإذا تصورت كيفيته من شيخ أو كتاب أو ناقل عن كتاب فقد حصل المراد.

١٢٦

فقال لهم كلاماً بل هي تشمل على جرأتهم أصغرها تصوير كيفية العمل وهذا قد يكون فيه مجرد الوصف بالنقل على المساحة والتسليم جدلاً . وأما الجزء الأكبر بل هو كثيّة الطريقة فهو معرفة العلل الطارئة على السالك في نفسه أو قلبه أو حاله ومعرفة معاناتها ومعرفة الإلقاءات القلبية من كونها نفسية أو شيطانية أو ملكية أو ربانية ومعرفة الأحوال والواردات والواحد الداخلة عليها ومبادئها ولو احتجتها وتميز حقها من باطلها ولخبرة التامة بمواقع الزلل ^١ بأهل السلوك .

١٣٦

نعم والعلم بجميع المكامن ^٢ والمواطن التي يتحرّز فيها بالسالك إذا دخلها أن يخرج من الإيمان إلى الْكُفَّار ومن السنة إلى البدعة ومن الحريمة إلى استبعاد الأغيار وإلى الوقوف مع الحال أو مع الكرامة أو المكافحة أو الرؤيا الصالحة وأخذ الاهبة لهذه الأمور ابتداءً واستصحاباً إلى غير ذلك من الجرئيات التي لا يحصرها ضبط ولا تستقل بالتعريف بها الكتب .

١٤٦

قلت هذا الكلام أجري على السداد من الذي قبله وليس المراد من معرفة هذه الأمور غير المخضرة معرفتها على طريقة العلم الْكَسِيَّيَّ بل على طريقة الوجдан الذي يفرد به الشیخ حتّی يميزها للمتعلم ^٣ واحدة واحدة تمیز العيان .

١٥٦

وأما قوله ولا تستقل بها الكتب فليس المراد أن استقلال الكتب بها أو ضبطها بالحصر العلني كاف في معرفتها بل ولو استقلت بها الكتب وضبطتها الحصر فإنما أصارها ذلك من قبيل العلوم الْكَسِيَّة وخرجت عن بابها ولا يردّها إلى بابها إلا تمیز الشیخ المعلم ودلالة المتعلم السالك على أعيانها .

١٦٦

فقالوا هذا كلام مسطور في الكتب ويكيف من ذلك كتاب أبي حامد رضي الله عنه فإنه بسط القول في ذلك بسطاً شافياً وزاد على

^١ ي: العلل . ^٢ ع، ي: العام لجميع المخلفين، والتصحيح من ط . ^٣ ع: المتعلم .

مقدار الكفاية وهو شيخ الطريقة باتفاق من أهلها وغيرهم من أهل العلم
والإنصاف فكيف لا يقتدى بكلامه ويهدى بإعلامه وكذلك كتب
غيره من الأعلام الربانيين.

١٧٦

فقال لهم إِنَّكُمْ قَدْ اسْتَدْعَيْتُمُ الْكَلَامَ فِي ثَلَاثَةِ مَقَامَاتٍ أَحَدُهَا أَنْ
يُقَالُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَوْ لَا أَنَّ الشِّيْخَ فِي طَرِيقِ اللَّهِ سَجَانَهُ كَالْدَلِيلُ فِي الطَّرِيقِ
الْحَسُوسُ عَلَى تَقْرِيبِ الْمَثَالِ وَلَوْ وَصَفَ لَكَ دَلِيلًا مُثَلًا غَيْرَهُ دُونَ إِدْرَاكِهِ
مَهَامَهُ وَمَفَازَاتُ سَكَانِهَا أَعْدَاءٌ يَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَقَلَمًا يَسْلُمُ مِنْهُمْ مِنْ
سَارَ فِيهَا فَصُورَ لَكَ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَخَاوفِ وَالْمُتَالِفِ وَأَشْرَاكِ
الْعَدِيِّ الْمَنْصُوبَةِ وَكِيفَ التَّحْرِزُ فِيهَا فَأَرْدَتَ أَنْ تَعْتَدُ عَلَى مُجَرَّدِ وَصْفِهِ لِتَسِيرِ
عَلَيْهِ وَلَمْ تَكُنْ عُرْفَتَهُ قَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَغْنِكَ الْوَصْفُ بِالْبَثَةِ لِاِخْتِلَافِ الْمَسَالِكِ
وَتَشَعَّبَهَا وَاسْتِبَاهَا وَانْتِشَارِ الْقَوَاطِعِ فِيهَا وَشَدَّةُ الْخُوفِ مِنْ غَرَةِ الْعَدُوِّ
فَالْوَصْفُ تَقْرِيبٌ لَا يَأْتِيُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا سِيمَاءً إِنْ كَانَ مَتَعْلِقَةً خَفِيًّا بَعِيدًا
عَنْ نَيْلِهِ بِالْخِيَالَاتِ وَالْأَوْهَامِ اللَّهُمَّ إِلَا أَنْ يَصَاحِبَ الدَّلِيلَ وَيَحْكُمَ عَلَى
الْجَادَةِ وَيَنْكِبَ بَكَ عَنْ مَظَانَ الْخُوفِ أَوْ يَعْدِلُهَا عَذَّتَهَا الَّتِي تَلِيقُ بِهَا فَإِنْ
ظَهَرَ لَكَ الْعَدُوُّ أَتَقِي إِلَيْكَ مِنَ الْعَدَّةِ وَالْحِيلَةِ مَا يَلِيقُ بَكَ وَبِهِ وَفِي ذَلِكَ
الْوَضْعُ حَتَّى تَحْصُلَ إِلَى غَيْرِهِ فَقَطْفَرَ بِهَا ثُمَّ تَخَرَّجَ بِهَا عَلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ
كَذَلِكَ مَحْوَطًا مَحْفُوظًا وَلَا أَسْرَتْ أَوْ اسْتَوْصَلتْ.

فَكَذَلِكَ الطَّرِيقُ إِلَى التَّحْقِيقِ بِعِرْفَةِ اللَّهِ إِنَّ دُونَ الْوَصْلِ إِلَيْهَا
مَسَافَتِنِ مَسَافَةِ الدِّينِيَا وَالْقَائِمِ فِيهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ الشَّيْطَانِ وَمَسَافَةِ
النَّفْسِ^٣ وَالْمَسْتَوْلِيِّ عَلَيْهَا الْهُوَى وَمَكَابِدِ الْعَدُوِّ فِيهِمَا لَا تَنْتَهِي وَلَا
تَسْعُهَا الْكَتَبُ بَلْ لَا تَوْفِي وَصَفْهَا لَبَعْدِ مَرْمَاهَا وَخَفَاءُ أَغْرِاصِهَا وَدَقَّةُ
تَصْوِرِهَا إِذَا لَيْسَتْ مِنْ قَبِيلِ مَا يَعْهُدُ فَلَا يَكُنُ فِيهَا مُجَرَّدُ الْوَصْفِ دُونَ

١ ط: القوة. ٢ ي: تصل. ٣ ي: الدنيا: ط: الآخرة.

الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما وال الصحيح من أدلةهما

نظرَ مَنْ نُورَ اللَّهُ بِصَيْرَتِهَا بِنُورِ الْحَقِّ^١ فَكَيْفَ يَقْطَعُ هَذَا الطَّرِيقُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ. هَذَا مَعْذُرٌ فِي الْعَادَةِ الْجَارِيَّةِ.

١٨٦

والمقام الثاني أن الكتب المشار إليها محشوة بالحكايات عن أرباب الأحوال الذين ملوكهم الأحوال وأرباب الأحوال الذين ملوكوا أحوالهم وأكثر ما تحتوي الكتب على القسم الأول والمملوكون للأحوال لا يقتدى بهم ما داموا كذلك ومن اقتدى بهم خرج عن الطريقة المثلية وخف عليه الانقطاع وهو الغالب فيمن اتبعهم إذ هنالك صار الناس حين اتبعوهم فرقاً فنهم من اختلط جسمه حتى تلف أو كاد ومنهم من تلف عقله أو كاد ومنهم من شاذ الدين بما لم يأذن الله فيه فغلبه ومنهم من يئس من روح الله في السلوك أو كاد ومنهم من كان على طريقة خير من علم أو عمل فانقطع عنه لعارض رباء أو عجب أو حب الدنيا أو جاه ولم يتحقق أصحىح ذلك ألم وسواس فترك العمل والعلم ظاناً أنه يتركه الله وقد نال الشيطان منه ما قصد. ومنهم من أساء ظنه بالطريقة وأهلها وكذب بها إلى غير ذلك من الأمور العارضة التي لا يزيلها النقل عن كتب التصوف بل يثيرها وهذه الأمور لا يدرك كنهها إلا أربابها ولم نر فيمن تقدم أو تأخر من ثبت تحت إيمانه شيخ سئى محقق اتفق له شيء من هذا.

١٩٦

وأما المالكون للأحوال فهم المقتدى بهم لأنهم لما ملوكوا أنفسهم وقهروا أحوالهم كانوا مقيدي الحركات والأحوال بالاقتداء بخلاف من تقدم فإن أحوالهم لا يقدرون على تقديرها فلذلك يصدر عنهم كثير ما يظهر من الشريعة خلافه وهم فيه معذورون ومحققون وقد لا يكونون بذلك.

١: الحكمة.

الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما وال الصحيح من أدلةهما

والفرق بين الفريقين عسير لا يدرك من الكتب المذكورة وعلى الفرق
ينبني الاقتداء وعدهم فإذا كنا لا نفرق بينهما فكيف نطمئن إلى
الاقتداء.

٢٠٦

ومن هنا نقول قد يترك المقتدى بالكتب الاقتداء بنـ يبني الاقداء به
ويقتدى بالأخر^١ أو يعمل عليهما جـيعـا وأحوالـهما لا تلتـقـيـ فيـ كـيـرـ منـ
الأمورـ فـيـعـلـ بـأـمـرـ كـالـتـنـاـفـيـ وـقـدـ يـكـوـنـ الرـجـلـ الـواـحـدـ مـلـوـكـاـ لـبعـضـ الأـهـوالـ
مالـكـاـ لـبعـضـ فـيـصـحـ الـاقـداءـ بـهـ فـيـ الثـانـيـ دـوـنـ الـأـوـلـ وـلـاـ يـقـدـرـ عـلـىـ الفـرقـ
إـلـاـ الشـيـخـ وـأـيـضاـ فـالـذـينـ تـظـهـرـ عـلـيـهـمـ الـأـهـوالـ أـنـوـاعـ فـنـهـمـ مـنـ هـوـعـارـ
مـنـهـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ وـمـنـهـ مـنـ هـوـمـحـقـ فـيـهـ وـمـنـهـ مـنـ هـوـصـاحـبـ حـالـ
أـصـلـهـ مـرـضـ النـفـسـ فـتـجـرـيـ لـهـ عـادـةـ مـنـ غـيـرـهـ عـنـ الحـسـ أـوـ صـعـقـ أـوـ بـكـاءـ
أـوـ صـيـاحـ أـوـ غـيرـ ذـلـكـ مـنـ الـأـهـوالـ وـهـوـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ مـبـطـلـ فـيـهـ كـاـنـهـ قـدـ
يـكـوـنـ صـاحـبـ كـرـامـةـ فـيـ الـظـاهـرـ إـنـاـهـوـ فـيـ يـدـ الشـيـطـانـ . وـمـنـهـ مـنـ
هـوـمـحـقـ فـيـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ وـمـنـهـ مـنـ كـانـ صـاحـبـ حـالـ فـقـرـعـنـ الـعـلـمـ
الـمـثـيرـ لـهـ فـقـرـ الـحـالـ فـيـظـنـ أـنـهـ مـالـكـ حـالـهـ فـيـتـشـبـهـ بـنـ هـوـكـذـلـكـ حـقـيـقـةـ
وـهـوـقـاصـرـ فـيـهـ وـذـلـكـ بـابـ فـتـنـةـ .^٢

٢١٦

وـأـيـضاـ فـالـأـهـوالـ وـالـمـوـاجـدـ مـنـهـاـ مـاـ هـوـصـحـيـحـ بـاطـلاقـ وـمـنـهاـ مـاـ هـوـغـيرـ
صـحـيـحـ بـاطـلاقـ وـمـنـهاـ مـاـ يـتـبـعـضـ إـلـىـ النـوـعـينـ وـمـنـهاـ مـاـ يـكـوـنـ صـحـيـحـاـ مـنـ وجـهـ
دونـ وجـهـ وـمـنـهاـ مـاـ هـوـمـحـقـلـ وـجـمـيـعـهـ مـحـتـاجـ إـلـىـ نـظـرـ الشـيـخـ وـلـاـ يـشـرـحـهـ
غـيرـهـ وـعـلـىـ النـظـرـ فـذـلـكـ كـلـهـ وـالـفـرـقـ بـيـنـ الـجـمـيـعـ تـبـنـيـ عـلـىـ^٣ مـسـائـلـ قـهـيـةـ
وـسـلـوكـيـةـ وـاعـقـادـيـةـ فـإـذـنـ مـنـ رـامـ أـنـ يـتـصـوـفـ دـوـنـ شـيـخـ قـدـ رـبـاهـ شـيـخـ
آـخـرـ بـسـنـدـ سـلـوـكـيـ إـلـىـ الـعـلـمـ الـأـوـلـ وـالـمـرـشـدـ الـحـقـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ
فـقـدـ رـامـ أـمـرـاـ صـعـبـاـ وـرـمـيـ مـرـجـاـ بـعـيـداـ .

١ يـ: (ويـقـتـديـ بـالـأـخـرـ وـيـقـتـديـ بـهـمـاـ جـيـعاـ) . ٢ يـ: (وـمـنـهـ مـنـ كـانـ هـوـمـسـتـحـقـ وـمـنـهـ مـنـ هـوـيـحـقـ فـيـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ
وـمـنـهـ مـنـ كـانـ صـاحـبـ حـالـ فـقـرـالـحـالـ فـظـلـوـ وـذـلـكـ بـابـ فـتـنـةـ وـهـوـ) . ٣ (عـلـىـ) أـضـيـفـتـ لـلـسـيـاقـ .

٢٢٦

واللقاء الثالث أنَّ الطرق إلى الله تعالى عدد أقواس الخلاط وإن كان واحداً في نفسه فكل سالك يليق به من التربية ما لا يليق بغيره والأحوال والمواجد والواردات والموهاب والعلوم والإلقاءات والعوارض في السلوك مختلف بحسب الأشخاص والأحوال والبداية والنهاية والقوة والضعف وسبيل سلوكهم غير متقد فقد يكون الرجالان على وزن واحد في العلم والعمل وترتيب الرياضة ويعرض لهما عارضان مختلفان فيحتاجان إلى دواء مختلف إن جعل واحداً لم يصلح أو متحداً إن جعل مختلفاً لم يصلح ويعرض لهما العارض المتخذ فيصلح لأحدهما من العلاج ما لا يصلح للآخر وترد على كل واحد منهما الأحوال والمواجد والإلقاءات متقدمة ومختلفة فيفرق الشيخ بين مؤلفها ويجمع بين مختلفها بحسب ما أراه الله.

٢٢٦

هذا فيما يعرض له في التخلق والتحقق معاً والتحقق بالتوحيد أشد وأحرى إلا يكتسب الدخول فيه من كتاب بل تحت نظرشيخ خاص بحر التوحيد ثم وقف على ساحله يدعو إليه و شأن هذا السلوك أعظم والتحرز فيه أتم والعوارض الطارئة على سالكه أقوى وأدھى وأمر وأكثر إذ ال�لاك فيه أقرب إلى سالكه من شراك غله.

٢٤٦

فأكثُر الباطنية والخلوية والرذادية والإباحية والتناصحية والجبرية وسار ما يذكر من الفرق في هذا النط إنما أصل هلاكهم السلوك في هذا الطريق من غيرشيخ محقق عارف أو الخروج عن نظره فيه فالاحتياج فيه إليه كاحتياج الجسد إلى الغذاء.

٢٥٦

قلت في هذه المعاشرة طول وربما يقصر بفهم من يرومده فلنورده ملخصاً بعد تقرير المعاشرة الأولى فعليها مبناه وذلك أنَّ النافين لاشتراك الشيخ زعموا كما تقرَّر أولاً أنَّ الطريقة إنما تحتاج إلى بيان كيفية السلوك وحصول صورته في الذهن ليقع العمل على

الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما وال الصحيح من أدلةهما

وقتها فإذا حصلت عن شيخ أو من نقل عن شيخ أو من تصنف كتب القومأخذ السالك
في العمل على وفق ما حصل عنده وأكتفى به.

وأجاب المتناظر بمنع الخصار الحاجة في هذه الطريقة إلى كيفية السلوك فقط
٢٦٦ بل قال عندنا أمران وهما كيفية السلوك أولاً ثم ما يعرض أثناءه من العلل والأحوال
والواردات والمواجد وتوقعها واختلافها واختلاف ما يبني عليها إلى غير نهاية فإن
كى الوصف في كيفية السلوك فلا يكى في هذه بل لا بد من الشیخ البصیر بها مجلة
أو مفصلة فاذعى النافون بعد ذلك أن هذه الأمور الأخرى كلها مسطورة في الكتب
بالكلامية أو الزائد عليها كالإحياء وغيره.

قال المتناظر هنا ثلاثة مفهومات يحتاج فيها إلى تعليم الشيخ أولها طريق السلوك
٢٧٦ ومثلها على التقرير بالطريق المحسوس وفرض فيها من الخاوف والمهلك والأداء والغرر
كثيراً وإن مثل هذا في العادة لا يعني فيه الوصف بل لا بد من مصاحبة الدليل
البصیر بذلك كله وحينئذ يطمئن في السلامة فكذا في طريق السلوك.
وثانية أن كل ما سطر في الكتب من شأن العلل والواردات والأحوال والمواجد
إنما هو حكاية عن السالكين وهم مختلفون في غبائهم لأحوالهم أو غبتها لهم وفي
صححة الأحوال أو فسادها وفي حقيقة الحال وتوهمها أو بنائهما على ما يخالف الطريقة
وينشأ عنه غير المطلوب ولا يستقل بتحقيق ذلك الكتاب بل لا بد من المعلم البصیر
بالفارق التي يريها عياناً.

وثالثها أن السلوك لم تحد طرقه بل الطريق إلى الله عدد أنفاس الخلائق وكل
سالك له طريق يناسبه وتربيته تخصه وكما اختلف طريق السلوك فختلف العلل
والأحوال والواردات باختلافها وتختص كل طريق بمناسبتها منها وينهى درك الغرق
على السالك إن لم يباشره المعلم البصیر بذلك لا سيما في سلوك مقام التوحيد.
هذا حاصل ما ذكره هذا المتناظر.

وأنت ترى كلام هذين المتناظرين كله عرياناً عن الدليل وليس إلا دعوى النافون
٢٨٦ ومنع المشترط من غير إقامة دليل وإلا فكلامه في الأول من الأمور الثلاثة التي

الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما وال الصحيح من أدلةهما

سماها مقامات بعد أن مثل بالمحسوس وفرض المخاوف غايتها من الأكفاء بالنقل واستبعاد ذلك في العادة وكلامه في الثاني من تلك المقامات بعد أن قرر أحوال السالكين والأحوال واختلافها واختلافهم غايتها دعوى أنه لا يستقل بتحقيقها الكتاب وكذا في الثالث حيث عدد الطرق ونوعها ثم ادعى أيضاً عدم الاستغناء بالكتاب في ذلك.

والتتحقق الذي يدل على اشتراط الشيخ المعلم في ذلك هو ما قدمناه من أن مدارك هذه الطريقة كلها وما يطرأ فيها على السالك من العلل والأحوال والواردات وجданية ذوقية وليس من قبيل العلوم الকسبية المتعارفة ولا مما يعرف بالوضع اللغوي وتحصره القوانين الصناعية وأكثر الأحوال والعلل والمواجد مع كونها غير متعارفة فهي أيضاً خارجة عن الاختيار وكيفيتها تكون بحسب ما نشأت عنه وكل ما هو مسطور في الكتب فمن قبيل العلوم الکسبية المتعارفة وعباراتهم عن أحوال هذه الطريقة كلها إنما هي من قبيل المجاز الذي لا تعرف حقيقته فلا بد من الشيخ الذي يفيد علم ما ليس عندنا رأساً وهذا هو الجواب الحق الصادع بالبرهان.
وهذا في مجاهدة الكشف.

وأما مجاهدة الاستقامة ومجاهدة التقوى فالرجوع فيهما إلى المسطور المنقول والفتاوي الصحيحة رجوع صحيح وبناء على أصل وثيق والله أعلم.

قالوا بهذه الكتب المصنفة في الطريقة الصوفية إن كانت مفيدة للمقصود الذي وضع لها فهو ما أردنا وكل ما قلته باطل وإن لم تقد فتصنيفها عبث بل هو على رأيك مضلٌ وذلك يقتضي في إماممة القوم لكيهم أمّة مقتدى بهم بإجماع فكلامك الذي يخرجهم عن ذلك باطل بالإجماع.^١

١ (فكلامك الذي يخرجهم عن ذلك باطل بالإجماع) لم ترد في ي.

٣٦٦

قال لهم كلام القوم في كتبهم صحيح أعني أبو حامد والمحاسبي وابن عطاء ومن في نظمهم من أهل السنة وأئمة الهدى دون من خرج عن ذلك فصيير السلوك فلسفياً ومع ذلك فكل ما تقدم ذكره صحيح لأن ما قاله أبو حامد وغيره إنما قالوه عن تحقيق واتصال ولكن بعد أن يقال ذلك الوصف الذي وصفوه هل يصح الاستقلال به في السلوك دونهم ودون من لم يقم مقامهم من ورثتهم في الاتصال للهداية بما قالوه فهذا هو محل النزاع وأمّا الفائدة فيما صنفوه من ذلك فالتبني والتحريض على التأهّب للمعاملات والأحوال السنوية ليدخل فيها بشروطها كما تصنّف الكتب في أنواع العلوم فلا يستفاد بها حتى تؤخذ عن أربابها وأكّ الشروط في السلوك الشيخ الذي يريده ما في الكتب في نفسك عياناً لأن يطلعك على مجرد فهمها لأنّ الطريقة لم تتبّن إلا على التحصيل الوجديّي وما في كتب التصوف لا يفهمه حق الفهم إلا من وجده وجدانًا وصار له وصفاً والمواجد إذا عبر عنها أهلها لم يفهمها إلا من وجدتها وأمّا غيرهم فيتصوّر الحق باطلًا وبالعكس بعد هذه الأغراض عن مألهـات البشر وقد يصيب في التصوّر ويختلط في الترتيب الوضعي للسلوك للجهل بمواقعه فالسلوك مفترق في ذلك كله إلى الشيخ.

٣٦٧

وأيضاً فإنّ ما تركه أرباب الكتب أكثر مما ذكره وما ذكره إنما هي قواعد جميلة يحتاج ظاهرها إلى التأويل في مواطن لا تخصى وإطلاقها إلى التقيد وبجلها إلى البيان وعمومها إلى التخصيص لاختلاف أحوال السلوك والساكين كما تقدم.

٣٦٨

قلت قد بيّنا أصناف المجاهدات ومراتبها وأنّ المجاهدة الأولى بمجاهدة القوى بالورع وهي فرض عين وأنّ المجاهدة الثانية بمجاهدة الاستقامة وهي التخلق بخلق القرآن والأنبياء وهي فرض عين في حق الأنبياء مشروعة في حق طالب الدرجات العلي

من الأمة والكلام في كليتهما كلام في المعارف وعلومهما من قبيل العلوم الكسبيّة وأنّ تصانيف القوم كلهما مملوءة بأحكام هاتين المجاهدين من ورع واستقامة كتاب الإحياء والرعاية والقوت وابن عطاء وغيرهم.

وأنّ المجاهدة الثالثة الكشف والإطلاع وهي طلب رفع الحجاب بسلوك خاص على ٣٤٦ هيئة خاصة وذكراً للخلاف في مشروعيتها وأنّ الكثير من أحكامها إنما هو مستفاد من أئمتها الواجبين لها إذ ليست مداركها من قبيل الكسب والعلوم المتعارفة وليس في الأوضاع اللغوية ما يمكن التغيير به عن شيء منها وليس في كتب القوم منها إلا الأقل وهو الذي تمكن العبارة عنه من كيفية السلوك وذكر بعض الأحكام التي هي من غير المواجه الذوقية.

وأنّما ما اختص بمواجهها الذوقية من أحكام وتصورات فلم يلمسوا به ولا أودعوه كتبهم وإنما هو من وظيفة الشيخ وغاية ما يأتون به في هذا الباب حكايات مبهمة وإشارات مجملة إلى حال أو وارد أو وجد لكن غير جلية محتاجة إلى تفسير الشيخ ولا تظنّ أنّ الفاظهم التي اصطلوا عليها تقييد غيرهم تصوّرًا لحقائق معانيها وإنما تواضعوا عليها للكلام فيما بينهم لا لخطاب من لم يذق أذواهم وقد نقلنا لك كلام الأستاذ أبي القاسم فيما قبل.

قول النافين إنّه لو لم تكن مصنفات القوم مفيدة للمقصود كان تصنيفها عبثاً ٣٥٦ فقول ما المعنى بالمقصود هنا إنّ كان مجاهدة القوى أو مجاهدة الاستقامة فمصنفات القوم مفيدة لجميع أحكامهما وأدابهما وإنّ كان المعنى بالمقصود مجاهدة الكشف والإطلاع فلا ضير في خلو هذه المصنفات عن كمال إفادتها وقد تضمنت شيئاً منها وهو كيفية السلوك وتركباقي وهو الكلام في العلل والواردات والمواجه والأحوال وجميع ما يعرض في السلوك مما هو صعب^١ الطريقة وجادة ذلك السلوك لإفادة الشيخ وتعلمه إذ لا تتمكن العبارة عنها ولا يفي بها تفسير قولي ولا قانون صناعي لخروج مداركها عن العلوم الكسبيّة كما مرّ.

١: أئمة القوم. ٢: ط: صلب.

- ٣٧.٦ **وقول المُناذِر إنَّ الْفَائِدَةِ فِي هَذِهِ الْمَصْنَافَاتِ التَّنْبِيهِ وَالتَّحْرِيْضُ عَلَى التَّأْهِبِ لِلْمَعَالَمَاتِ وَالْأَحَوَالِ السَّيِّئَةِ، فَأَهُونُ بِهَا فَائِدَةً لَوْ صَحَّ اخْسَارُ فَائِدَةِ التَّصَانِيفِ الْمَذَكُورَةِ فِيهَا.** كَيْفَ وَهِيَ كَلَمَاتٍ مَمْلُوءَةٍ مِنْ أَحْكَامٍ بِمَاجَهَدَاتِ الْاسْتِقَامَةِ وَالْوَرَعِ الْكَفِيلِينَ بِالْجَاهَةِ وَمَرَاتِبِ الصَّدِيقَيْنِ وَأَيِّ شَيْءٍ أَعْظَمُ مِنْ بِمَاجَهَدَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْخَلْقِ بِخَلْقِ الْقَرْآنِ وَلَمْ يَفِتْ مِنْ هَذِهِ التَّصَانِيفِ إِلَّا مَا فِي سُلُوكِ الْكَشْفِ مِنْ الْمَوْاجِدِ الْذَوِيقَةِ الَّتِي تَعْذَرُتْ عَنْهَا الْعَبَارَةُ بَلْ امْشَعَتْ وَلَا ضَيَرَ فِي خَلْوِ هَذِهِ التَّصَانِيفِ عَنْهَا فَالْفَوَائِدُ الْأُخْرَى أَعْظَمُ مِنْهَا وَالْخَلْفُ فِي مَشْرُوعِيْتِهَا قَدْ قَرَنَاهُ مَعَ أَنَّ الشِّيخَ كَهْلَ بِتَحْصِيلِ فَائِدَتِهَا.
- ٣٨.٦ **ثُمَّ إِنَّ الْمُناذِرَ تَبَهُّ لِهَذَا الْمَعْنَى فَعَقَبَ بِهِ كَلَمَهُ وَلِيْتَهُ تَبَهُّ لَهُ مِنْ قَبْلِ فَقَالَ وَأَكَدَ الشُّرُوطَ فِي السُّلُوكِ الشِّيْخَ الَّذِي يَرِيكَ مَا فِي الْكِتَابِ فِي نَفْسِكَ عَيْنًا وَلَا أَنْ يَطْلَعَكَ عَلَى مُجَرَّدِ فَهْمِهَا لَأَنَّ الطَّرِيقَةَ لَمْ تَبَهُ إِلَّا عَلَى التَّحْصِيلِ الْوَجْدَانِيِّ إِلَى آخَرِ مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْمَنَاظِرِ وَهُوَ كَلَامٌ سَدِيدٌ وَنَكِيْتَهُ مَا قَرَنَاهُ قَبْلَ.**
- ٣٩.٦ **فَقَالُوا مَا عِنْدَ الشِّيْخِ مِنْ عِلْمٍ ذَلِكَ كَلَمٌ إِنْ كَانَ رَاجِعًا إِلَى مَنْصُوصِهِ فِي الْكِتَابِ الْمَذَكُورَةِ فَالرَّجُوعُ إِلَى الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ فِيهَا غَيْرُ ضَائِرٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَاجِعًا إِلَيْهَا فَتَلَكَ شَرِيعَةً ثَانِيَةً ادْعَيْتَهَا وَحْسِبَكَ مِنْ شَرِيعَةِ سَمَاعِهِ.**
- ٤٠.٦ **فَقَالَ بَلْ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ لَكَهُ رُوحُ مَا سَطَرَ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَمَعَاقِدُ مَا فَعَلَ بِلِلْجَمِيعِ عَنْ أَصُولِ الشَّرِيعَةِ وَلَذِكَّ صَارَ الصَّوْفِيُّ الْحَقِيقَ يَبْصُرُ الْفَقِيهَ فِي فَقْهِهِ وَالْمُفْسِرَ فِي تَفْسِيرِهِ وَالْأَصْوَى فِي أَصْوَلِهِ وَالْطَّيِيبَ فِي طَبِيهِ وَالْأَمِيرَ فِي إِمَارَتِهِ وَالصَّانِعَ فِي صَنَاعَتِهِ وَسَائِرَ الْأَصْنَافِ فِي نَحْلِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ وَيَطْلَعُهُمْ عَلَى مَوْاقِعِ الْفَلَطْ وَالْزَّلْلِ فِيهَا وَيَبْيَنُ لَهُمْ كَيْفِيَةَ الْخَرْجَةِ عَنْ ذَلِكَ وَهَذَا الْعِلْمُ هُوَ الَّذِي اسْتَبَدَ بِهِ الشِّيْخُ دُونَ الْكِتَابِ وَدُونَ مَنْ لَمْ يَتَحَقَّ بِمَا تَحَقَّ بِهِ وَمَا نَسْبَةُ مَا**

الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما وال الصحيح من أدلةهما

منه الله من ذلك إلى جميع العلوم وتصاريف الوجود إلا نسبة أصول
الفقه إلى الفقيه بل هو أقرب وأوضح.

٤١٦ قلت الذي عند الشیعہ صنفان من العلم صنف يرجع إلى شروط هذا السلوك
من تصویر کیفیتہ وتقديم مجاھدی التقوی والاستقامة عليه وأحكام ذلك كله هذا
الصنف منصوص عليه في کتبهم وما ملأ أسطارها إلا تعدد مسائله وتفصیل
أحكامه والتقلیل فيه کاف.

٤٢٦ وصف هو روح هذا السلوك وسر حقيقته وهو الكلام في الطوارئ التي
أشرنا إليها وهو ذوق لا نفي به عبارة ولا يخلص فيه الاعتماد على الكتب والنقل بل
الشیعہ يشير إلى أعيان تلك الطوارئ ويعیزها للسائل عند ذوقه إليها ومشارکه له
في تعارفها.

٤٢٧ وأما قول النافین إن لم يكن راجعاً إلى کتبهم فهي شریعة ثانية فتشیع من القول وقد
قدمنا أنها طریقة خاصة مغايرة لطریقة الشرع العامة عثر عليها الصدیقون واقفواها
حرصاً على الدرجات العلی وعلموا بعد ذوق معانیها ووجدان مدارکها کیف تعلق
بها الأحكام الخمسة وألقوافهم ذلك لمن خاض لجئهم وعبر بحیرة ذوقهم فهي من درجة
تحت الأحكام الخمسة اندرج الخاص تحت العام لكن تعذر العبارة عن متعلق الأحكام
الخمسة فيها وعدم عموم البلوى خي ذلك إلا على أهل المختصین بتعارفها ومعرفة
حكم الله فيها.

٤٤٦ وأما قول المتناظر إنه راجع إلى المنصوص عليه في الكتاب والسنة ولكنه روح
ما سطر وتعاقد ما فرع للجميع عن أصول الشريعة فقول خطابی لا یعن الخصم إذ
یمنع تعلق الأحكام الخمسة بتلك الطوارئ كلها ويستند في منعه لفقدانها
من الكتب.

والتحقیق ما ذكرناه هو الذي منع من إيداعها الكتب وشیوخها أولیاء الله عالمون
كيف دخلت تحت الأحكام لعهم بحقائقها الوجданیة.

وأثنا قوله إن الصوفي الحق يصر أهل العلوم والصنائع في علومهم وصناعتهم
 ٤٥٦ فقول صحيح وقد تقدم أصل ذلك ما هو وأن صاحب العلم الإلهي قد اكتشف^١
 له حقائق الوجود وخفايا أسراره على ما هي عليه فهو يراها بعين قلبه ويهدي
 إلى الصواب ويصدّ عن الخطأ لدخول ذلك كله في مداركه وهل العلوم الكسيبة
 والصناعية إلا ظلّ من ظلال علمه فهو يحرز جميع المدارك البشرية بالنور الذي ألقى
 الله في قلبه والعلوم الربانية التي ملأت جوانب صدره.

٤٦٦ فقالوا إن كان ما استبد به علمًا يمكن التغيير عنه أمكن اكتسابه ورجح
 إلى قبيل المقول لأنَّه إن صنفه صار من جملة المقولات ومثل هذا فعل
 أبو حامد رضي الله عنه وغيره وإنَّ فهو بالقوة في حكم المصنف إذا
 كان في علمه محصلاً وفي ذهنه معقولاً متصوراً وعلى كل الأمرين يمكن
 اكتسابه وقراءته وإقراءه وما شأنه هذا فهو من قبيل المكتوب فصيحة الأخذ
 بما في الكتب منه لأنَّه هو وإن لم يكن^٢ ذلك فما هذا العلم.

٤٧٦ فقال لهم ليس بعلم يمكن اكتسابه ولا حصره وضبطه لقانون ولا
 جمعه في عقد ولذلك تسأل الشیخ الحق^٣ عما عنده من علم التصوف
 فيجيب بأنَّ ليس عندي شيء لأنَّه فتير على كل حال بل هو كالريح لما
 يلقي فيه وإنَّما الذي اختصَّ الله به نور وجداً من موضوع فيه يفرق به
 بين الحق والباطل في كل شيء وهذا النور لا يقدر الشیخ على وضعه ولا
 إلقاءه لسالك ولا غيره ولا يعبر عنه إلا بالمثال بل المثال مظهر لذلك
 النور فقط وحقيقة كُّوكُّ كانت فمن كان من أهل ذلك النور فهم
 المراد ومن لا فلا.

٤٨٦ ومن هنا ضلَّ كثيرٌ من اتبع آثار الكتب في هذه الطريقة فصاروا
 «شِيعَا كُلُّ حِرْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» فنزلوا نصوص الكتاب

^١ ي: الإلهامي. ^٢ ي: اكتشفت. ^٣ ع: إن يمكن. ^٤ ط: المحقق.

الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما والصحيح من أدلةهما

والسنة على ما لا يعرفون^١ من أحوال القوم أو صيروا أحوال القوم تجري على شريعة أخرى غير التي بثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمة ورأوا أن الصوفية مخاطبون غير ما خطب به الجميع ويكون هذا من سوء أحوال من اتبع آثار الكتب.

قلت قد تقرر أن مدارك هذا السلوك ليست من قبيل العلوم الكنسية ولا الاصطلاحات النقلية بل هي وجدانية ذوقية لا يمكن التغيير عنها إلا من شارك في وجدانها وذوقها كما مرّ.

قولهم إن كان ما استبد به علمه يمكن التغيير عنه أمكن اكتسابه ورجل إلى قبيل المقول سواء صنفه فهو منقول بالفعل أو لم يصنفه فهو محصل في علمه فهو منقول بالقدرة.

قلنا ليس بعلم يمكن التغيير عنه إذ العلم الذي يعبر عنه إنما هو العلوم الاصطلاحية الكنسية وأما الوجدانية فلا.

وقولهم يمكن اكتسابه وإقاوئه إن أرادوا به العلم المتعلق بمحاجدة القوى أو بمحاجدة الاستقامة فصحيح وإن أرادوا به العلم المتعلق بمحاجدة الكشف فمن نوع لما قدمناه من خروج مداركها عن قبيل العلوم والاصطلاحات وقد ألم بذلك المتناظر في قوله إنما هو نور وجداني موضوع فيه ويفرق به بين الحق والباطل في كل شيء إلى آخر ما قال.

وأما بيانه لضلال المقتدين بالكتب حتى زعموا أن الصوفية مخاطبون غير ما خطب به الكافة فإن صح أن منشأ^٢ هذه المضلة من الاقداء بالكتب والاعتماد على النقل فوجهه ما قدمناه من كون مدارك السلوك ذوقياً وجدانياً فمن اعتمد على النقل ولم يميزها لم يفهم تعلق الأحكام الخمسة بها فيقول ولعل حكم التصوف حكم آخر. هذا وجهه والله أعلم.

١ ط: على ما لا يعرفون. ٢ ي: مشاهدة.

وقد كا يتنا فساد رأي من رعم تقاؤت الناس في خطاب الشريعة وأن لها ظاهرًا
وباطنًا في أوائل المقدمة .
٥٣٦

فقالوا السلوك بدون شيخ إما أن يكون ممتعًا لذاته أو لأمر خارج وامتناعه
لذاته غير صحيح وإن امتشع لأمر خارج فهو إما العادة وإما الشرع فاما
العادة فغير مانعة لأنَّ كثيًراً من الناس سلكوا بدون شيخ ولكن سمع من
كتاب أو ناقل عن كتاب كيفية فالزتمها وتولى الله هدایته ولم يكله إلى
أحد ومن بحث عن سير الناس وجد ذلك .
٥٤٦

واما الشرع فain يوجد دليل شرعي على إيجاب السلوك بشيخ
وامتناعه دونه بل فيه ما يدل على خلاف ذلك قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ
إِمْنَوْا إِنْ شَكُوا اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الآية فهذا نص في أن
من اتقى الله حصل له النور الفرقاني الذي رعى أنه من خواص الشيخ
إِذا حصل له ذلك يجدد التقوى وحقيقة امتحال الأوامر واجتناب
النواهي وهذا يحصل من الكتب لأنَّه مجرد نقل فروع الفقه وما ينضم
إليها من تحقيقات الصوفية فما الحاجة إِذا إلى الشيخ . وفي القرآن الكريم
﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِيمَا نَهَىَنَاهُمْ سُبْلَنَا﴾ وهو بمعنى الأول إلى غير
ذلك مما في هذا المعنى .

فقال لهم ليس ذلك يمتع لذاته وإنما امتشع عادة وشرعًا أمما في العادة
فإنَّ السنة الجارية والعادة المعتادة فين زرى سيرهم مسطورة في الكتب
الاعتماد على الشيخ وعدم الاستغناء عنهم وأكثر من زل عن الصراط
المستقيم إما زلوا بسبب السلوك دونه وبمخالفته في بعض الأمور وقد
رأينا ذلك عيناً وسعناه في الكتب ولا أعني بالاعتماد على الشيخ أن يكون
ملازماً لشيخ واحد فقط وإن كان ذلك هو الأولى فإنه غير لازم على
الجملة . وما من سالك بدون الشيخ البشة فإن فرض وجوده عقلاً فربما لا
٥٥٦

يوجد عيناً إذا ما من رجل تعينه ولم تعلم له شيئاً إلا ويمكن أن كان تحت نظر شيخ لا تعلمه فإذا لازم من عدم علمك به عدمه فالشيخ يكون من جملة الأسباب التي يتولى الله بها العبد وعلى فرض وجوده فهو نادر ومن جملة خوارق العادات التي لا يبني عليها حكم مطرد بمنزلة الشواذ في التهو الذي تحفظ ولا يقاس عليها وبمنزلة بيع العرايا والقراض والمساقاة التي توقف على محلها ولا يقاس عليها بل مسألتنا أقرب إلى شهادة خريمة وعناق أبي بردة في الصخايا وأيضاً إن وجد فقلما ينفع به في السلوك بل يكون أمة وحده.

وأماماً في الشرع فالدليل عليه أوضح كقوله تعالى ﴿فَسَلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنُّتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قوله ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَآتُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ﴾ الآية. وأيضاً العلامة ورثة الأنبياء والاستغناء عن الوارث للنبي يشبه الاستغناء عن النبي لأن النبي بعث ليبيان الكتاب فوارثه أيضاً قد أقيم لمثل ذلك وكل صاحب علم شرعى وارث للنبي في ذلك العلم والأدلة على هذا لا تكاد تختصر وما استدللت به غير قادر فإن القوى مفقر فيها إلى هداية الشيخ أعني كيفية الدخول فيها بالفعل بحسب كل شخص وحال والتحرر من العوارض الخروجة عنها وكأن القوى إنما يحصل بتدرج كذلك تتجهها على حسبها فالفرقان يحصل على تدرج وشيئاً فشيئاً وبحسب كمال المقدمات يكون كمال النتائج.

وأيضاً فالفرقان يحصل للمتي بحسب ترقية في المقامات في مقام الإسلام يحصل له فرقانه الخاص به وفي مقام الإيمان ومقام الإحسان كذلك وفرقان كل مقام نتيجة تقواه الخاصة به وكل قوى لها أصول ومبادئ وواردات ومواجد^١ وعوارض ونتائج تليق بها وتظهر بها

١: ع: موجد.

الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما وال الصحيح من أدلةهما

استقامة السالك أو اعوجاجه^١ وصحّة العمل أو فساده فلا بد من الشيخ لها كما تقدم وكذلك المجاهدة في إنتاجها الهدایة إلى الصراط المستقيم كالقوى في إنتاجها الفرقان.

حتى إذا قطع السالك تلك المسافات وجاز تلك المتألف التي لا يعرفها إلا أهلها وظهر للشيخ منه التبصر في ذلك كله ورجع بأقدام سلوكه إلى مركزه الذي سافر منه وقد أبس خلعة الفور الإلهي واستقام له الفور الفرقاني وكله الشيخ إلى الله الذي به الهدایة في الأول والآخر.

فإن تيسر له بعد هذا أسباب التربية دخل فيها على ينتهـة غير تارك للاهـداء بشـيخه عـاش أو مـات فـإن الفور الذي وضع فيه وأبسـه إنـما حـصل له من ذلك الطـريق فإن تركـه انطـمس عنه ذلك الفور.

هذه السنة الجارية في الشيخ والتلمـذ مطلقاً إنـما هي سلسلـة متصلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مـن وصلـها وصلـ ومن قطـعـها انـقطعـ.

٥٨٦ قلت ردـد النـافون امـتناعـ السـلوكـ بـدونـ شـيخـ بـينـ الـامـتناعـ لـذـاتهـ أوـ لأـمـرـ خـارـجـ وهوـ العـادـةـ أوـ الشـرـعـ وـتقـواـ الـامـتناعـ بـحـسـبـ الذـاتـ وـوـاقـعـهـ الـمـنـاظـرـ عـلـيـهـ وـنـازـعـهـمـ فيـ الـامـتنـاعـ العـادـيـ وـالـشـرـعيـ.

واعلم أن حـصرـ الـامـتنـاعـ فيـ هـذـهـ الـثـلـاثـةـ مـنـعـ وـامـتنـاعـ هـذـاـ السـلـوكـ بـدونـ الشـيخـ إنـماـ هوـ لـوـصـفـهـ وـهـوـ كـوـنـ مـدارـكـ الـوـجـدـانـيـةـ ذـوقـيـةـ لـاـ يـكـنـ فـهـمـهـاـ إـلـاـ بـتـعـيـنـ الشـيخـ الـمـدـرـكـ لـهـ تـعـيـنـاـ شـفـاهـيـاـ وـكـلـ ماـ اـمـتنـعـ لـوـصـفـهـ فـقـدـ يـوـجـدـ عـنـدـ تـخـلـفـ ذـلـكـ الـوـصـفـ يـوـمـاـ مـاـ وـتـمـيـزـ الـمـدـرـكـ الـوـجـدـانـيـةـ قـدـ يـكـوـنـ بـتـسـدـيـدـ مـنـ اللهـ وـإـلـهـاـمـ لـعـرـفـةـ أـعـيـانـهـ وـلـاـ يـكـوـنـ ذـلـكـ إـلـاـ لـأـوـرـادـ مـنـ الـلـقـقـ عـلـىـ سـبـيلـ الـكـرـامـةـ الـتـيـ هـيـ أـخـتـ الـمـغـرـةـ الـتـيـ تـقـلـبـ الـمـكـنـ الـعـادـيـ وـالـمـسـتـحـيلـ عـنـ طـبـيعـتـهـ لـكـنـ لـاـ يـظـهـرـ لـهـمـيدـ وـإـخـوانـهـ

١: عـوـجـاجـهـ.

الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما وال الصحيح من أدلةهما

صححة السلوك إلا بعد حصول الثمرة وهو المطلع فإذا تيقن حصولها علم أن الله تولى أمره وهدياته.

ولما كان رفع الامتناع بعنابة الله وهدياته خرقاً للعادة فلا يقاس عليه ولا يعتمد
٥٩٦ المريد السلوك بغير شيخ وإن كان ممثلاً لما فيه من اشتباه مداركه على من لم يجعلها
تؤيلاً على أن الله يتولى هدياته في ذلك فإن هذا حمق من الفعل وهدر من القول
كما يقول من يباشر النار تؤيلاً على أن الله جعلها على إبراهيم «بَرَدًا وَسَلَامًا»
فيقول أباشرها والله يقيني منها وكما يعتقد شرب السم القاتل تؤيلاً على كرامة خالد بن
الوليد في شربه ولم يضره.

ولا يرتفع الممكن عن إمكانه ولا المشعر عن امتناعه بخرق العادة على سبيل المعرفة
٦٠٦ أو الكرامة بل يجب على المريد أن يكون مشفقاً في كل وقت وإن ظن الهدية من
أنها إملاءٌ حتى يظفر بالغرض المطلوب ويعلم أن نعم الله عليه قد تمت. وهذا من
الندور بحيث لا يعتقد عليه السالك فالامتناع الذي غير صحيح كما أتفق عليه المتناظران
والامتناع العادي مردود كارع المناظر على اشتراط الشيخ ولا يقدح في الامتناع
الوصفي ما دام الوصف وامتناع الوصف أقل نادر فلا يجعل عمدة في نفي^٢ اشتراط
الشيخ في هذا السلوك الذي هو ضروري له كما تقدم.

وأما الامتناع الشرعي فلا أدرى من أين منعه النافون فإن غاية دليلهم أن التقوى
٦١٦ كفيلة بالنور الفرقاني والمجاهدة كفيلة بالهدية وهذا مطلق فما المانع في تقديره بالإقداء
بالشيخ كما يفعل في كثير من مطلقات الكتاب والستة هذا إن أريده بالتقوى والمجاهدة
سلوك الكشف والاطلاع الذي تبين أن المعلم المفهم لمداركه ضروري الوجود.
وأما بمحادة الاستقامة والتقوى فقد يبين أن مداركهما متعارفة معلومة مفهمة
في التخاطب من حملة الشريعة إذ ليست مداركهما وجاذبية يمكن وجودهما تؤيلاً على
الكتب والنقل دون الشيخ إلا أن وجود الشيخ أكمل كما قدمناه فلا يحتاج في إطلاق
الآيتين إلى تقدير باعتبارهما.

١ ع:أصلاً. ٢ (نفي) لم ترد في ط، ح.

وأثنا قول المناظر العلماء ورثة الأنبياء فالاستغناء عن الوراث يلزم منه الاستغناء
عن النبي وكل صاحب علم شرعى وارث للنبي في ذلك العلم.
فاعلم أن للنبي ^١ ثلاثة أحوال حال عامة من حيث هدایته الخلق وهو طلب النجاة
للمكّفين وحال خاصة وهي مجاهدته في نفسه التي هي فرض عينه وهي الاستقامة

والخلق بالقرآن وحال هي خاصة لخاصة وهي سلوكه طريق الاطلاع بالتحث بغار
حراء منفرداً عن الخلق وما كان يعرض له أثناء ذلك من واردات ومواجه ممّا يتولى
الله فيها هدایته وتربيته.

وهذا السلوك الكشفي قطرة من بحر ذلك السلوك وظلّ من أعلامه وإن كان
تفاوت ما بينهما تفاوت ما بين السراج والشمس لا بل السراج أقرب إلى الشمس
لكته منه على جهة المثال والتقارب والمقصود الأول للمكّفين من حيث اتباع الأنبياء
والاقداء بهم إنما هو طلب النجاة وفيه تكون حقيقة الوراثة للعلماء ولا يمكن
الاستغناء عنها بوجه إذ هي رأس المال وبضاعة الإيمان فلا يمكن الاستغناء عن
وارثها عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأثنا طلب الاستقامة والخلق بأخلاق الأنبياء التي هي فرض عينهم فما في حق
المكّفين سموا بهم ^٢ إلى الدرجات العلي واقتاصها من العلماء والكتب في حق من
طلبها وتقيد لأحكامها ضروري فلا يمكن الاستغناء عن الوراث فيها ول المراد بالوراث
في الأمرين حامل الأحكام الشرعية الداخلة تحت المعاني المتعارفة.

وأثنا طريقة هذا السلوك الذي هو خاص الخواص فأمر مضائق في مشروعيته من
الوارثين الذين هم العلماء يمكن الاستغناء عنهم رأساً أو يجب على قول المانع له إذ لم
يعرف الصدر الأول من الصحابة والسلف شيئاً منه ولا عولوا على مسلكه إنما كانوا
بين طالب نجاة أو طالب استقامة مختلف بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله
فكيف الاستغناء عمّا هو شرط فيه من وجود معلم أو غيره.

^١ ي: في ذلك العلم. ^٢ ي: وهي. ^٣ ط: سموا بها.

وأثما اختلاف القوى والمجاهدة الذي ذكره المناظر باختلاف المقامات واختلاف نتائجها باختلافها فصحيح والقوى في مجاهدة القوى والاستقامة مفهمة المدارك أصولاً ومبادئ وواردات ومواجد وعوارض ونتائج لأنها كلها من قبيل المتعارف وأثما في مقام السلوك الكشيقي فمعانيها ومداركها غير مفهمة أصولاً ومبادئ وعوارض ونتائج لما قدمناه فلا بد من الشيخ المميز لاعيائها وغير ذلك من كلام المتناظرين ظاهر.

فقالوا هذا قد يكون معمولاً به مع وجود الشيخ وعدم تعذره وأثما في هذه الأزمان فهو معذوم وإن كان موجوداً فخن لا نعرفه وإذا لم نعرفه فماذا يصنع طالب السلوك إن لم يتلق سلوكه من الكتب.

فقال لهم إن كان شيخ هذا الطريق الخاص عدم ظهوره فهو في نفسه غير معذوم حتى يرى الله الأرض ومن عليها وأثما في الطريق العام لجميع الخلق فهو ظاهر موجود ولا يخلو للمريد هنا أن يكون سالكاً أو بمحضها فإن كان سالكاً قصر نفسه على امتحان الأوامر واجتناب النواهي حسبما يسلمه له شيخ الفقه في طلب طريقته من غير ميل إلى تقييد ولا إفراط ولا ركون إلى تساهل ولا تشديد وغير تارك لصناعته الجائزة إن كان صافغاً ولا عالمه إن كان عالماً أو متعلماً ولا زائداً على نفسه من النوالن والمندوبات ما يضيق فيه على نفسه في معاشه أو راحته نفسه بل يكون بحيث لا يظهر له انحياز على الناس ولا خروج عن جملتهم إلا في الأمور غير الجائزة إذا اجتنبها ولم يجتنبها أو الواجبة إذا قام بها ولم يقوموا بها.

ولعل هذا المقدار أيضاً يحتاج فيه إلى الشيخ ولكن قرب يكتفى فيه بالفقير المقتى ثم يصنع ما يصنعه طالب علم الفقه أو الأصول أو الحديث أو غير ذلك من العلوم الشرعية من البحث عن معلم والسؤال

عنه والرغبة إلى الله في سره أن يسيئه له على ما يحبه ويرضاه فإن دل على محق معروف بالصفات المعتبرة في الشیخ وقد ذكرها الناس رحل إليه إن قدر وإلا كاتبه بحاله وإن لم يجد تماذی على طلبه ورغبته وما كتب الله له فسيبلغه لا محالة.

٧٠٦ وأما المخذوب وهو المأخذ عن نفسه غير المالك لها استغalaً بربه واقتاعاً إليه بحيث لا يرجع إلى تدبير نفسه ولا يقدر على ذلك فوظيفته إن أشكل عليه أمر أن لا يقتدي بالكتب فيه بل إن كان من قبيل ما عند الفقيه رجع إليه فيه وإن كان من قبيل آخر فصدقه في خدمة من جذبه إليه يهديه إليه بأي وجه شاء وإنما عليه إلا يعتمد على كتاب ولا على ناقل من كتاب إذا لم يكن من أهل العلم والتحقيق بما ينقله والله الموفق للصواب.

٧١٦ قلت ادعى النافون عدم هذا الشیخ وجعلوا ذلك دليلاً على عدم اشتراطه وإنما يكون دليلاً على ذلك لوجوب هذا السلوك بمقتضى الشرع أو العقل حتى يكون وجوده دون الشیخ دليلاً على عدم اشتراطه كيف ونحن قد قدمنا مضايقة أهل الفتيا في مشروعية لكن نحن لا نقول بذلك بل نقول إن وجد الشیخ اتفق هذا السلوك وإن فقد ترك حيفة من الغر وارتكاب الخطأ حتى يخلقه الله.

٧٢٦ وأما ادعاء المتناظر أنه لا يفقد حتى يرى الله الأرض ومن عليها فدعوى غريبة وما ذهب إليها إلا بعض المتصوفة المتكلمين في علوم المكافحة والقاتلتين بالقطب والأوتاد والأبدال وقد قدمنا مذاهبهم ورثيناها وبيننا فسادها.

٧٣٦ والحق أن الشیخ السالك من جملة أمور الكائنات الجرئية التي توجد زماناً وتفقد زماناً فإذا وجد استقام السلوك وإذا فقد ترك السلوك لفقدان شرطه حتى يهينه الله عز وجل فيعثر على الطريق بعض أولياء الله كرامة له وإلهاماً وتسديداً وعنانية ويقع

الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما والصحيح من أدلةهما

التعليم منه وال التربية في جيل بعد جيل إلى أن تقطع السلسلة بعد أعصار متعددة وأزمان متعاقبة فنتظر رحمة الله في بعثه والله أعلم.

وقول المناظر وأما في الطريق العام لجميع الخلق فهو ظاهر موجود فالظاهر منه أنه فرض الكلام في اشتراط الشيخ في سلوك الكشف وفي سلوك الاستقامة والتقوى وقد يبينا اختلاف ما بين هذه للمجاهدات وأن الأولين منها لا يشرط الشيخ فيما يخالف الثالثة **فيفكون** الطريق العام على هذا التقدير طريق الفتيا وشيخها المفتى وهو غير مفقود في الأكثـر وربما يفقد فيرجع إلى الكتب وتقتبـس منها الفتاوى إذا صحت الأصول وثبت إسنادها حتى تحصل بعض الأساتيذ مملكة مستحكمة فيعود التعليم ولا ضير في فقدان الشيخ في هذه الطريق إذ لا غـر فيها ولا خـطر بخلاف سلوك الكشف.

٧٥٦ ثمّ قسم المناظر المرىء إلى سالك ومحذوب وزعم أنّ المريء إذا فقد الشيخ يقتصر على الطاعات مقتدياً بآمام الفتيا مقبلاً على معاشه وصناعته راغباً إلى الله في دلاته على الشيخ.

وليت شعري إذا فقد هذا السلوك رأساً ما الذي يفقده المريد بل هذا السلوك والله أقرب إلى الخطر وأمسّ بالغرر إلا من عصم الله ووفق وهل بعد حصول الاستقامة التي هي خلق الأنبياء والصديقين وخلق القرآن سلوك يطلب.

ثم قال فإن دل على محى معروف بالصفات المعتبرة في الشيخ وقد ذكرها الناس رحل
إليه إن قدر والاكتابه بحاله.

قلت وكيف تصح المكابة أو تقييد وهو يقرّ من أول مناظرته أن التعليم من الكتاب لا يفيد شيئاً ولا يستند إلى النقل سالك وبين دخوله الضرب على المقتنى بالكتب وأي فرق بين الكتب المؤلفة وكتاب يكتبه سالك من بلد بعيد وكله استناد إلى النقل والكتاب وإنما في خطاب الشيخ بعد مكابي كا في الكتب المسطرة بعد زمانى.

١ ع، ي، ط: الثلاثة.

ثم إنَّه شرح وظيفة المجدوب.

واعلم أنَّ المجدوب لا وظيفة له فإنَّه عندهم المخطوف عند المطatum مثل بهلوول وغيره من مجانيق أهل السلوك وهو فاقد لعقل التكليف أبداً ولم تبق له وظيفة إذ الوصول قد حقَّ والوظائف إنما هي وسائل للوصول وهذا المجدوب الذي قد وصل وشاهد الأنوار وجذب عن نفسه وعقله فهو لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان ولا النقل إنما هو ساجح دائمًا في بحر المعرفة والتوحيد مختطف عن الحسن والمحسوس.

خاتمة وتحقيق

ما زال يختلج في نظري أنَّ المجدوب فاقد لعقل التكليف وهو أدون مراتب النوع الإنساني فيكون خارجًا عن زمرة المؤمنين بما سقط عنه من التكليف وسيما العبادات فكيف يلتحق بمراتب أولياء الله ويُعدُّ منهم كما هو معلوم قديمًا وحديثًا وغير نكير حتى أَللَّهُ إِلَى كَشْفِ الْعَطَاءِ عَنْ ذَلِكَ بِمَنْهُ وَهُدَايَتِهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَقْلَ الَّذِي نَاطَ بِهِ الشَّرْعُ التَّكْلِيفُ هُوَ عَقْلُ الْمَعَاشِ وَهُوَ قِيَامُ الْإِنْسَنِ عَلَى مَعَاشِهِ وَتَدْبِيرِ مَنْزِلِهِ فَإِنْ فَقَدَ هَذَا الْعَقْلُ لَنْقَصَ فِي دَاهِهِ وَفِي لَطِيفَتِهِ الرُّوْحَانِيَّةِ كَسَائِرِ الْحُقْمِ وَالْمَجَانِينَ نَزَلَ عَنْ رَبْتَهُ الْمَوْعِدِيَّةِ وَلَمْ يَكُنْ مِّنَ الْإِيمَانِ^١ فِي شَيْءٍ فَضْلًا عَنِ الْوَلَايَةِ وَإِنْ فَقَدَ هَذَا الْعَقْلُ لَغَرَقَ فِي بَحْرِ الْأَنُورِ الْإِلَهِيَّةِ وَقَلَّتْ تَعْرِيْجُ عَلَى الْمَحْسُوسَاتِ بِمَا حَمَلَتْ فَلَا يَضْرُهُ ذَلِكَ وَلَا يَنْزَلُ بِهِ عَنْ رَبْتَهُ الْمَوْعِدِيَّةِ بَلْ تَعْلُو لَدِيهِ رَبْتَهُ الْإِيمَانِ وَتَصْنَعُ لَهُ الْوَلَايَةَ بِمَا عَنْهُ مِنْ مَشَاهِدَةِ أَنُورِ الْمَعْرِفَةِ وَلِهِ فِي حَفْظِ مَقَامِهِ مَعَ سُقُوطِ التَّكَلِيفِ وَبِتِّرِ أَسْبَابِ وَصُولِهِ الْحَاصِلِ لَدِيهِ حَكْمُ شَرِيعَةِ غَرِيبٍ اتَّقَى عَلَيْهِ أَهْلُ الْطَّرِيقَةِ الْمُفَوْضُ عَلَيْهِ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ فَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الْأَحْكَامَ الْشَّرِعِيَّةَ إِنَّمَا تَعْلُقُ بِمَدَارِكَهُمْ بَعْدَ وَجْدَانِهَا وَذُوقَهَا وَلَيْسَ تَخْنِي أَحْكَامُ الْشَّرِعِيَّةِ فِي حَقِّهِمْ لَا تَبَاسُهَا وَلَا لَخْفَائِهَا وَإِنَّمَا هُوَ لِأَجْلِ خَفَاءِ مَا تَعْلُقُ بِهِ مِنْ مَدَارِكَهُمُ الْذَّوِيقَةِ وَإِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْإِدْرَاكُ الْذَّوِيقِيُّ بِحَالٍ أَوْ وَارِدًا أَوْ إِلَقاءِ أَوْ

١ (من الإيمان) لم ترد في يـ.

الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما والصحيح من أدلةهما

غير ذلك علماً كيف يتعلق حكم الله به وربما يستغرب في حقهم حكم ما وإنما هو لغراة متعلقة من تلك المدارك الذوقية فلا يستنكر^١ ذلك منهم فهم أعلم بمداركهم والسعادة أصلها التخصيص.

وقد انتهى كلام المتناظرين وانتهى بنا نحن الكلام بانتهائه والله يرشدنا إليه ويدلنا على السعادة بمعرفته ويهدينا إلى صراطه المستقيم يجعل أعمالنا خالصة لوجهه عائنة برضاه من سخطه إنه على ما يشاء قادر.

^١ ي: يستبعد.

LIBRARY OF ARABIC LITERATURE

GENERAL EDITOR

Philip F. Kennedy, New York University

EXECUTIVE EDITORS

James E. Montgomery, University of Cambridge

Shawkat M. Toorawa, Yale University

EDITORIAL DIRECTOR

Chip Rossetti

ASSISTANT EDITOR

Lucie Taylor

EDITORS

Sean Anthony, The Ohio State University

Huda Fakhreddine, University of Pennsylvania

Lara Harb, Princeton University

Maya Kesrouany, New York University Abu Dhabi

Enass Khansa, American University of Beirut

Bilal Orfali, American University of Beirut

Maurice Pomerantz, New York University Abu Dhabi

Mohammed Rustom, Carleton University

CONSULTING EDITORS

Julia Bray Michael Cooperson Joseph E. Lowry

Tahera Qutbuddin Devin J. Stewart

DIGITAL PRODUCTION MANAGER

Stuart Brown

PAPERBACK DESIGNER

Nicole Hayward

FELLOWSHIP PROGRAM COORDINATOR

Amani Al-Zoubi

NEW YORK UNIVERSITY PRESS
New York

Copyright © 2022 by New York University
All rights reserved

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

Names: Ibn Khaldūn, 1332-1406, author. | Baugh, Carolyn, translator. | Ibn .Khaldūn, 1332-1406. *Shifā' al-sā'il li-tahdhīb al-masā'il*

Title: 880-01 The requirements of the Sufi path : a defense of the mystical ; tradition = *Shifā' al-sā'il li-tahdhīb al-masā'il* / Ibn Khaldūn .edited and translated by Carolyn Baugh

Other titles: *Shifā' al-sā'il li-tahdhīb al-masā'il*. English | 880-02 *Shifā' al-sā'il li-tahdhīb al-masā'il*

Description: New York : New York University Press, 2022. | Includes bibliographical references and index. | In English translation with Arabic original on facing pages. | Summary: "This work is essentially a legal opinion, a fatwa, asserting the inherent validity of the Sufi path"-- Provided by publisher

Identifiers: LCCN 2022020557 | ISBN 9781479806331 (cloth) | ISBN (ebook) | ISBN 9781479806348 (ebook) 9781479806317

Subjects: LCSH: Sufism--Doctrines--Early works to 1800

Classification: LCC BP189.26 .I313 2022 | DDC 297.4--dc23/eng/20220517

LC record available at <https://lccn.loc.gov/2022020557>

Series design by Titus Nemeth.

Typeset in Tasmeem, using DecoType Naskh and Emiri.

Typesetting and digitization by Stuart Brown.